مسابقة الوحيين

مسابقة الوحيين السادسة
لحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية

المحور الأول

بيان سنة الله في تمكين المؤمنين المُستضعفين، وإهلاك الطُغاة المُستكبرين

سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم

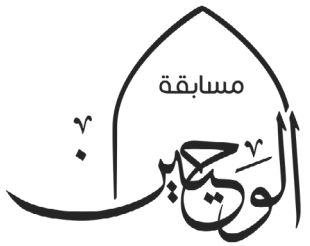

مسابقة الوحيين السادسة
لحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية

سُورة القصص

سنة الله في تمكين المؤمنين المُستضعفين، وإهلاك الطُغاة المُستكبرين

المادة العلمية لمسابقة الوحيين السادسة
نادي النورين
١٤٤٤هـ

المقدمة

الحمد لله باعث الهمم، المتفضِّل بأعظم المِنَن، الداعي إلى دار السلام بأوضح بيان، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله ﷺ، وبعد:

لمَّا تفاوتت العقول واختلفت، وقصُرت عن الكمال مهما بلغت، كان لِزامًا على البشريَّة أن تُجمَع على منهجٍ قويمٍ ثابتٍ تسير عليه، يكون به صلاح حياتها وهناء روحها.

ومع التنوع الكبير والتباين العظيم بين الناس وعقولهم ومقاصدهم، استحال الإتيان بمنهجٍ واحدٍ يصلحُ لهم في جميع أحوالهم ومديد أزمانهم، إلا أن يكون من العليم بهم الخبير بما يُصلح شؤونهم.

هنا.. تجلّت رحمة الخالق جلّ جلاله، بإنزال الوحي وإرسال الرسول محمد ﷺ، فأرشدَ بهِ خلقه إلى طريق النورِ بعد الظلام، والهداية بعد الضلال، ووعد بالفوز العظيمِ في الدنيا والآخرة لمن اتّبعَ ولزم، وآمن وثبت.

وكلَّما كان الزمن أشد فتنة؛ كان جزاء الاتِّباع والثَّبات أجزل وأعظم.

لذا فالحاجة إلى التذكير الدائم بالثبات على الطريق (كتاب ربِّنا وسنة نبيِّنا ﷺ) من أهمِّ الحاجات وأجلِّ المُهِمَّات.

ومن هذا المنطلق أُطلِقت مسابقة (الوحيَيْن)، لتكون وسيلة بين يديكِ للإقدام على حفظهما وفهمهما، والعمل بهما، والدعوة إليهما.

ومن هنا؛ تَشرُفُ جامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل، مُمَثَّلة بنادي النورَيْن، بإقامة مسابقة الوحيَيْن لعامها السادس.

وتَبَعًا لذلك؛ تمَّ إعداد هذا الكتيب الخاص بـ (سورة القصص) إحدى محاور المسابقة، والذي يُخوِّلكِ الارتواء من معين السورة؛ حفظًا لآياتها، ولأحاديث ذات مُناسَبَة لها، وفَهمًا لتفسيرها، واهتداءً بهداياتها، وبما شملته من أعمال قلبية... وغير ذلك.

ما مسابقة الوحيين؟

مسابقةُ الوَحيَيْن هيَ مسابقةٌ سنويَّة، يُقيمها نادي النورَيْن، التابع لجامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل؛ لإتاحة فرصة التنافُس في حفظ القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية، بين طالبات الجامعة.

تهدف المسابقة إلى تشجيع المشاركات على حفظ القرآن الكريم وفَهمه وتدبُّره، وربطه بالسُّنَّة النبويَّة وحفظِ شيء منها؛ وذلك من خلال ثلاث سُور مختارة، مع مادة تدبُّريَّة مُعَدَّة لكل سُورة، تكونُ مرجعًا للمتسابقات، وعليها يقوم التنافس.

وبتوفيق الله ومنِّه، تتجدد المسابقة في دورتها السادسة لهذا العام ١٤٤٤هـ، برعاية كريمة من معالي مدير الجامعة: د.عبد الله بن محمد الربيش- حفظه الله.

سُور مسابقة الوحيين السادسة ومحاورها:

١. **(سورة القصص):** وفيها بيان سُنَّة الله في تمكين المؤمنين المُستضعفين، وإهلاك الطُغاة المُستكبرين.

٢. **(سورة سبأ):** وفيها بيان أحوال النَّاس مع النِّعَم، وسُنَّة الله في تغييرها.

٣. **(سورة الحديد):** وفيها الترقِّي بالنُّفوس للإيمان والإنفاق في سبيل الله.

وللمزيد عن المسابقة: يُرجى مُتابعة مُغرِّد نادي النوريَن **Nourainclub**

محتوى الكُتيب وأهم المراجع(*)

١. **التعريف بالسورة** ويشمل: (اسم السورة، ونوعها، وفضلها، ومحورها، وتقسيمها حسب موضوعاتها).

وقد قُسِّمت سورة القصص إلى أحدَ عشَر موضوعًا، أُفرِد كل موضوع في مقطع، تناول كل مقطع ما يلي:

٢. **آيات المقطع** أدرجت مكتوبة بالرسم العثماني.

٣. **المناسبات** بُيِّنت المناسبة بين كل مقطع وسابِقِه، كما بُيِّنت مناسبات أخرى بين بعض الآيات في المقطع الواحد.

٤. **بيان غريب الآيات** واعتُمِد فيه على كتاب: السراج في بيان غريب القرآن، لمحمد الخضيري.

٥. **التفسير** واعتُمِد فيه على: المختصر في التفسير.

٦. **(مِن معين الآية)** وهو عنوان أُدرِج بعد كل آية، وتحته مجموعة من الفوائد المُنوَّعة ما بين (عِلْميَّة، وتربويَّة وإيمانيَّة، وعمليَّة) تم تصنيفها بناءً على ما يلي:

- **الفوائد العِلميَّة**: وتشمل كل ما يتعلَّق بعلوم الآية (من عقيدة، وفقه، وبلاغة، ونحو ذلك).
- **الفوائد التربويَّة والإيمانيَّة**: وتشمل كل ما يتعلَّق بالسلوك والأخلاق، وعرض النَّفس على الآيات ومُحاسبتها.
- **الفوائد العَمَليَّة**: تشمل كل ما يُمكن أن يُطبَّق عَمَلِيًّا.

(*) بُيِّن في هذه الصفحة المرجع الأساس لكل عنصر من عناصر المادة، وبعض العناصر لتعدد مراجعها لم نبينها هنا، واكتفينا ببيانها في صفحة المراجع.

وتمَّ تمييز كل فائدة بلون حسب تصنيفها على النحو التالي:

الفوائد العلميَّة **الفوائد التربويَّة** **الفوائد العمليَّة**

وألحقت كل فائدة بقائلها، مع رقم يُشير إلى مرجعها في صفحة المراجع.

٧. **أسماء الله الحسنى**: تمَّ التَّركيز على بعض أسماء الله تعالى الحسنى الواردة في السُّورة؛ ببيان معناها، وبعض الهدايات والآثار السلوكيَّة المُستفادة من العلم بها، وغير ذلك. واعتُمِد كتاب: ولله الأسماء الحسنى للجليل، كمرجع أساسي للمادة.

٨. **أعمال القلوب**: استُنبطت بعض أعمال القلوب البارزة في السورة، وبُيِّن معناها، والطريق إلى تحقيقها، وبعض ثمراتها، وغير ذلك. واعتُمِد كتاب: أعمال القلوب لخالد السبت، كمرجع أساسي للمادة.

٩. **أحاديث نبويَّة**: أُلحق كل مقطع بأحاديث صحيحة ذات مناسبة لبعض آياته، مع تعليق يسير على موضع الشاهد منها.

١٠. **المقاطع الإثرائيَّة**: خُتِم كل مقطع بـ (رمز) يحوي مادة صوتيَّة إثرائيَّة، مُقتطعة من محاضرة لتفسير السورة، تابعة لدورة الأترجة القرآنية.

١١. **خاتمة السورة**.

١٢. **المراجع**: قُسِّمت صفحة المراجع حسب عناصر المادَّة السابق ذكرها، وأُدرِج تحت كل عنصر مراجِعه.

أخيرًا...

شرف التنافس بشرف ما نتنافس لأجله، فهنيئًا لكِ تنافسكِ في هديِ الآي والسُّنَّة.

استحضري أخلَصَ النوايا فهي محل نظر الله سبحانه، واستعيني به لبلوغ أعلى الدرجات في الدَّارَيْن.

ألبسكِ الرحمن بالوحيَيْن الحُلل، و أسكنكِ بهما الظُّلل، وأطاب بهما عيشكِ، وأقرَّ بهما قلبكِ.

التعريف بالسورة

سُمِّيت هذه السورة الكريمة بسورة القصص؛ ولا يُعرف لها اسم آخر.

ووجه التسمية بذلك وقوع لفظ القصص فيها عند قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ} [القصص:٢٥]؛ فالقصص الذي أضيفت إليه السورة هو قصص موسى الذي قصَّه على شعيب -عليهما السلام- فيما لَقِيَه في مصر قبل خروجه منها.

وجاء لفظ القصص في سورة **يوسف** أيضًا، ولكن سورة يوسف نزلت بعد هذه السورة.

والسورة مكيَّة، وعدد آياتها: ثمان وثمانون آية.

فضائل السورة:

لم يرد للسورة الكريمة فضل خاص، غير أنها من سُوَر المثاني التي قال النبي ﷺ عنها:

عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ قال: «**أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمَئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ**»(***).

أخرجه أحمد (١٦٥٣٤).

من مقاصد السورة:

سنّة الله في تمكين المؤمنين المستضعفين وإهلاك الطغاة المستكبرين(**).

فابتدأت السورة بمقدمة عن حال فرعون مع قوم موسى، فبيَّنت طغيانه وعلوّه وفساده في الأرض، ومنطق الطغيان في كل مكان وزمان.

(*) السَّبع الطّوال: السور من البقرة إلى التَّوبة، وقيل غير ذلك في تحديدها. والزَّبور: كتاب الله الَّذي أنزله على داود عليه السَّلام، والمئين: السُّور الَّتي عدد آياتها أكثر من المئة. والمثاني: السُّور الَّتي آياتها مئة أو أقلّ، وقيل: هي سورة الفاتحة، وسمِّيت بذلك؛ لأنَّها سبع آيات، وتثنَّى في الصَّلاة، وتكرَّر قراءتها في كلّ ركعة. (وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ)، بمعنى زادني الله من فضله بأن أنزل عليَّ سور المفصَّل، وهي السُّور القصيرة من القرآن، وقيل: إنَّ مبدأها من الحجرات إلى آخر القرآن، وقيل غير ذلك في تحديدها.

(**) المختصر في التفسير، ص٣٨٥، ط٦.

ثم انتقلت السورة إلى الحديث عن ميلاد موسى عليه السلام، ثم الحديث عن شبابه وقصته مع الرجلين، ثم قصة خروجه وعمله مع الرجل الصالح وزواجه من ابنته، ثم قصة الوحي إليه وكلام الله عز وجل له، ورسالته وإيتاءه الكتاب، وكفر قومه به، وإغراق الله لهم.

ثم برهنت السورة على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، فتحدثت عن التوراة، وعن موسى، لتقيم من خلال ذلك بعض الحجج على رسالة محمد ﷺ.

ثم قصَّت علينا قصَّة قارون كرجل بغى من قوم موسى أنفسهم، بعد أن رأينا قصة الباغين على قوم موسى من غير أنفسهم، فتُرينا في قصة قارون نهاية الباغين على الرسل من أقوامهم.

ثمَّ تأتي خاتمة السورة مُربِّيَةً موجهة لسيد المرسلين ﷺ(***).

(***) انظر: التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم وآخرون (٥/٥٠٥)، والأساس في التفسير، سعيد حوّى، (٧/٤٠٥٧)، وأسماء سور القرآن وفضائلها، د. منيرة الدوسري، ص٢٩٦.

التقسيم الموضوعي للسورة:

	عنوان المقطع	آياته
قصة موسى -عليه السلام- (١-٤٣)	**المقطع الأول:** علوّ فرعون في الأرض، وإرادة الله إهلاكه والتمكين للمُستضعفين.	١-٦
	المقطع الثاني: ميلاد موسى وموقف أمّه، والتقاط آل فرعون إيَّاه.	٧-١٣
	المقطع الثالث: قتل القبطي خطأ، والخروج من مصر.	١٤-٢١
	المقطع الرابع: اللجوء إلى مَديَن، والزواج من ابنة الرجل الصالح.	٢٢-٢٨
	المقطع الخامس: بعثة موسى وأخيه هارون -عليهما السلام- وتأييدهما.	٢٩-٣٥
	المقطع السادس: بدء الدعوة، وتكذيب فرعون وجنوده لها، ونزول العقاب بهم.	٣٦-٤٣
إثبات رسالة نبينا -صلى الله عليه وسلم- (٤٤-٧٥)	**المقطع السابع:** إثبات نُبوَّة محمد صلى الله عليه وسلم من خلال قصَّة موسى، وتكذيب المشركين له وللقرآن والردّ عليهم، وموقف الصادقين من أهل الكتاب.	٤٤-٥٥
	المقطع الثامن: زعمُ المشركين والردُّ عليهم، والحضُّ على الرغبة في الآخرة.	٥٦-٦١
	المقطع التاسع: من مواقف المُشركين يوم القيامة، وبعض مظاهر قدرة الله ورحمته.	٦٢-٧٥
	المقطع العاشر: قصة قارون وبغْيه، وبيان أنَّ العاقبة للمتقين.	٧٦-٨٤
	المقطع الحادي عشر: الأمر بالبلاغ والتوحيد.	٨٥-٨٨

علوّ فرعون في الأرض،
وإرادة الله إهلاكه والتمكين
للمُستضعفين

المقطع الأول

قال تعالى: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ۝٦﴾.

معاني الكلمات

عَلَا	تكبَّر، وطغى.
شِيَعًا	طوائف متفرقة.
نَمُنَّ	نتفضّل.

تفسير الآيات

﴿طسٓمٓ ۝١﴾

هذه من الحروف التي افتُتِحت بها بعض سور القرآن، وهي حروفٌ هجائية لا معنى لها في نفسها إذا جاءت مفردة هكذا (أ، ب، ت، إلخ)، ولها حكمة ومغزى؛ حيث لا يوجد في القرآن ما لا حكمة له، ومن أهم حِكَمها: الإشارة إلى التحدي بالقرآن الذي يتكوَّن من الحروف نفسها التي يعرفونها ويتكلمون بها؛ لذا يأتي غالبًا بعدها ذكرٌ للقرآن الكريم، كما في هذه السورة.

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾.

هذه آيات القرآن الواضح.

من معين الآية:

القرآن والسنة يحلّان كل ما يعرض لنا من مشكلات في أمور ديننا ودنيانا، ولكن المشكلة هي القصور عن فهم النص لدى بعض الناس، ويرجع الأمر إلى سببين: إمَّا هوىً مُتّبع، وإمَّا جهل.

باختصار: محمد العثيمين[١١]

الرجوع إلى الكتاب والسنة يُفيد العبد فائدتين عظيمتين:

الأولى: الطمأنينة والاستقرار.

الثانية: استطاعته إقناع غيره، وطمأنته.

محمد العثيمين[١١]

ما من كتاب مُبيَّن ككتاب الله، ثم يأتي مَن يزعمُ أنَّ له تأويلات باطنةً تخالفُ ظاهرَه، ومعانيَ غائبةً عن الأذهان لا تُفهم!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

﴿نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣﴾.

نقرأ عليك من خبر موسى وفرعون بالحق الَّذي لا مرية فيه لقوم يؤمنون؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بما فيه.

من معين الآية:

بيان أهمية قصة موسى مع فرعون، ولهذا تكفَّل الله تعالى بتلاوتها على نبيِّ صلى الله عليه وسلم.

محمد العثيمين[١١]

{لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} فإليهم يساق الخطاب، ويوجه الكلام، حيث إن معهم من الإيمان، ما يُقبِلون به على تدبُّر ذلك، وتلَقِّيه بالقبول والاهتداء بمواقع العبر، ويزدادون به إيمانًا ويقينًا، وخيرًا إلى خيرهم، وأمَّا من عداهم ممن ينكرون الحق، فهؤلاء لا يستفيدون منه إلا إقامة الحجة عليهم، وصانه الله عنهم، وجعل بينهم وبينه حجابًا أن يفقهوه.

السعدي[٨]

حين يكون الإيمان عامرًا في القلب يُقبل صاحبه على القرآن متدبرًا إيَّاه، مستزيدًا به من يقينه، مهتديًا بعِبَره، منتفعًا بمواعظه.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

لا يمنع قوله تعالى: {لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} من أن تكون هذه القصص جامعة بين كونها سببًا لحدوث الإيمان، وكذلك سببًا لزيادته، أي سببًا لمن لم يؤمن حتى يؤمن، ولمن آمن حتى يزداد إيمانه.

والدليل على أنه ينتفع بها غير المؤمن قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ} [يوسف:١١١]، فكل إنسان عنده لُبّ -أي عقل- فلا بد له أن يعتبر وينتفع.

محمد العثيمين[١١]

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤﴾.

إن فرعون طغى في أرض مصر، وتسلط فيها، وصيَّر أهلها طوائف مفرّقًا بينها، يستضعف طائفة منهم، وهم بنو إسرائيل، بقتل ذكور أولادهم واستبقاء نسائهم للخدمة إمعانًا في إذلالهم، إنَّه كان من المفسدين في الأرض بالظلم والطغيان والتكبُّر.

من معين الآية:

علا فرعونُ بالباطل فكان مصيرَه الغرقُ المُذل، كما ترَفَّع قارونُ على خلق الله فكان مآله الخسف تحت الأقدام، فما أخنعَ المتكبّرين عند الله!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

صُوِّرَت عظمة فرعون في الدنيا بقوله: {عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ} لتكون العبرة بهلاكه بعد ذلك العلوِّ أكبر العِبَر.

ابن عاشور (٢٠/٦٦)[١٥]

من علا في الأرض، وطلب العلوّ على الخلق؛ فهو شبيه بفرعون ووارثُه، وبئس الرجل من كان فرعون إمامه.

محمد العثيمين[١١]

تفريق الأمَّة سببٌ لفشلها وذُلّها، وذلك في قوله تعالى: {وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا}.

محمد العثيمين[١١]

تفريق الجمع الواحد، وبثُّ الشِّقاق والتناحر بين أهله غايةً للمستبدِّين، ليكتملَ لهم بنيانُ السيادة على الجميع، بانشغال ذلك الجمع بنفسه.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{يُذَبِّحُ أَبۡنَاءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَاءَهُمۡ} وذلك لأن الكهنة قالوا له: إن مولودًا يولد في بني إسرائيل يذهب ملكك على يديه، أو قال المنجمون له ذلك، أو رأى رؤيا فَعُبِّرت كذلك. قال الزجاج: العجب من حمقه! لم يدرِ أن الكاهن إن صدق فالقتل لا ينفع، وإن كذب فلا معنى للقتل.

القرطبي: (١٦/٢٣٠)[١٥]

ينخدع الطغاة بقوَّتهم وبقُدرتهم حتى يتغلغلوا في الفساد، ويُوغلوا في ظلم العباد، فيستضعفوا الخلق ويُذلُّوهم، ناسين قدرة الخالق عليهم، وانتصاره لمَن ظلموهم!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

ما أشد خُبث فرعون وأسوأ فعلته في أبناء بني إسرائيل ونسائهم! فَمن للنساء بعد قتل الرجال، وما الذي يُضمِّد جرح أفئدة الأمهات بفقد أولادهن؟

هدايات القرآن الكريم[١٤]

لو أراد فرعون حيلة أخرى للتخلُّص ممَّا يخافه من بني إسرائيل غير القتل لوجدها، لكن قُساة القلوب غِلاظ الأكباد لا يَرويهم سِوى سفك الدماء، وذلك من أشدِّ الفساد بين العباد.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

التفريق بين **الفساد** الشخصي **والإفساد** وهو الذي يتعدى إلى الغير، والإفساد يُؤدي إلى عقوبة الله وإيقاع الظلمة في شر أعمالهم.

التفسير الموضوعي[٢]

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾.

ونريد أن نتفضل على بني إسرائيل الذين استضعفهم فرعون في أرض مصر؛ بإهلاك عدوهم، وإزالة الاستضعاف عنهم، وجعلهم أئمة يقتدى بهم في الحق، ونجعلهم يرثون أرض الشام المباركة بعد هلاك فرعون، كما قال تعالى: {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا...} [الأعراف: ١٣٧].

من معين الآية:

{وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً} أئمة في الدين، وذلك لا يحصل مع استضعاف، بل لا بد من تمكين في الأرض، وقدرة تامة.

السعدي[٨]

من استُضعف لقيامه بالحق فلا بُدّ أن تكون العاقبة له.

محمد العثيمين[١١]

شعورك بالضعف مفتاح الأمل، ربما كان الله يريد أن يمنَّ عليك.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

قوله تعالى: {وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً} فيه بيان لفضائل بني إسرائيل ومناقبهم.

وقد يُشكل على القارئ أن الله تعالى يقول ذلك عنهم، وفي آيات كثيرة يذمُّهم!

والجواب عن ذلك: أن الله تعالى بيّن السبب في جعل هؤلاء أئمة، فقال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة: ٢٤] فهم حين كانوا مُتَّصفين بهذين الوصْفَيْن الصبر واليقين كانوا أئمةً، وقد أخذ شيخ الإسلام من هذه الآية جملة، فقال: (بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين)، لكن لما تخلَّف الصبر وتخلَّف اليقين منهم صاروا {قِرَدَةً خَاسِئِينَ} [البقرة: ٦٥]، وجاءت الآيات في ذمّهم.

محمد العثيمين[١١]

قد يفتح الله بسبب البلاء أبوابًا من الخير ولو بعد حين، فَتَجَبُّرُ فرعون أخرج بني إسرائيل من ذلّ العبودية وصاروا أئمة يحكمون.

التفسير الموضوعي[٢]

{وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ}، بنو إسرائيل ورثوا فرعون بلا قتال ولا فعل منهم، بل كان ذلك (بإرادة الله المحضة)، فالله ييسر لعباده من النصر ما لم يكن في مقدورهم، ولا في حسابهم.

باختصار: محمد العثيمين[١١]

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ٦﴾.

ونريد أن نمكّن لهم في الأرض بجعلهم أصحاب السلطان فيها، ونُرِي فرعون ومُسانِدِهِ الأكبر في المُلك هامان وجنودهما المعاونين لهما في ملكهما، ما كانوا يخافونه من ذهاب ملكهم، وانقضائه على يد مولود ذكر من بني إسرائيل.

من معين الآية:

{وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ} كل هذا قد أراده الله، وإذا أراد أمرًا سهَّل أسبابه، ونهج طرقه، وهذا الأمر كذلك، فإنه قدَّر وأجرى من الأسباب -التي لم يشعر بها لا أولياؤه ولا أعداؤه- ما هو سبب مُوصِل إلى هذا المقصود.

السعدي[٨]

النصر والتمكين عاقبة المؤمنين.

المختصر في التفسير[١]

حذروا منهم ستين عامًا، لكن الله مكّنهم رغمًا عنهم.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

تمكين الإنسان في الأرض من نعمة الله عليه...، وقد يكون التمكين للإنسان بتمكين قوله وقَبُوله في الأرض؛ حتى يكون له سُلطان على المؤمنين.

محمد العثيمين[١١]

لا بدَّ من ابتلاء المؤمنين قبل حصول النصر والتمكين، فلا يَيئسنَّ مؤمنٌ في ليالي الابتلاء، فإن لظلام مِحَنِها صباحًا سيبدِّد تلك الظلمات، وينتشر نوره في جنَبات الحياة.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

لو كان المفسدون المتجبّرون عقلاء لابتعدوا عن الإفساد؛ فإن إسرافهم في الجَبروت يسرّع عقوبتهم، ويقرِّب من نهايتهم، وإن كان يظنُّون أنه يحفظ لهم سلطانهم وعلوَّهم.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

إذا أردت أن ترى كيف تُرسم خريطة النصر في ميدان الضعف والعجز، فاقرأ صدر سورة القصص.

د.عمر المقبل[١٦]

أحاديث نبوية

ذم الله تعالى فرعون بصفة الكبر المشينة التي أدت به إلى استضعاف الناس واستحقارهم وتسليط أنواع العذاب عليهم، وهذا هو واقع كل متكبر، لذا جاءت الآيات والأحاديث الناهية عن تلك الصفة التي لا تليق إلا بالله الحكم العدل سبحانه، ومن هذه الأحاديث:

١. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ(*)».

أخرجه مسلم (١٤٧).

٢. عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول اللهِ ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ».

أخرجه مسلم (٢٦٢٠).

(*) **بطَر الحق:** دفعه ورده، **وغمط الناس:** احتقارهم وازدراؤهم

أهل الإيمان هم الـمُنتفعون

ميلاد موسى وموقف أمّه،
والِتقاط آل فرعون إيَّاه

المقطع الثاني

لمَّا ذكر الله ما سيؤول إليه ملك فرعون، وما سيُكرم به موسى وقومه، ذكر نشأة موسى عليه السلام إلى أن بعثه الله رسولًا(*)، وهذا الفصل من قصة موسى عليه السلام بيانٌ لما أنعم الله عليه في صغره من إنجائه من القتل والغرق في النيل، وما أنعم عليه في كبره من إيتائه العلم والحكمة والنبوَّة والرسالة إلى بني إسرائيل والمصريين(**).

قال تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ٨ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١١ ۞وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ١٢ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤﴾.

(*) المختصر في التفسير (٣٨٦).
(**) التفسير المنير للزحيلي (٢٠/ ٧٠).

معاني الكلمات

الْيَمِّ	النهر، وهو نهر النيل.
خَاطِئِينَ	آثمين.
قُرَّتُ عَيْنٍ لِي	مصدر سرور لي.
فَارِغًا	خاليًا من كل شيء إلا من همّ موسى -عليه السلام-.
لَتُبْدِي بِهِ	فتصرّح بأنه ابنها.
قُصِّيهِ	تتبَّعي أثره.
عَنْ جُنُبٍ	عن بُعد.
يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ	يقومون بتربيته وإرضاعه.
بَلَغَ أَشُدَّهُ	قَوِيَ بدنه.
وَاسْتَوَى	واستحكم في قوته.

تفسير الآيات

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾

وألهمنا أم موسى عليه السلام أن أرضعيه حتَّى إذا خَشِيتِ عليه من فرعون وقومه أن يقتلوه فضعيه في صندوق، وارميه في نهر النيل، ولا تخافي عليه من الغرق ولا من فرعون، ولا تحزني بسبب فراقه، إنا مرجعوه إليك حيًّا، ومصيّروه من رسل الله الذين يبعثهم إلى خلقه.

من معين الآية:

جَمع الله فِي هذه الآيةِ بينَ أمرينِ ونهيينِ وخبرينِ وبشارتينِ؛ فتأملها فتح الله على قلبك.
تفسير القرطبي[١٦]

في هذه الآية دليل على إكرام الله -سبحانه وتعالى- لأم موسى، وهذا الإكرام يُفهم من عدة أوجه:

١. من الوحي والإلهام.
٢. من تطمينها في قوله: {وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي}.
٣. من بِشارتها بأنه سيُردّ إليها، ويجعله الله من المرسلين.

بتصرف يسير: محمد العثيمين[١١]

وإنمَّا أمرها الله بإرضاعه لتقوى بُنيته بِلبَان أمّه؛ فإنه أسعد بالطفل في أوَّل عمره من لِبَان غيرها، وليكون له من الرَّضاعة الأخيرة -قبل إلقائه في اليمّ- قوت يشدُّ بُنْيَتَهُ فيما بين قذْفِه في اليمّ وبين التقاط آل فرعون إيَّاه، وإيصاله إلى بيت فرعون.
ابن عاشور[١٥]

{فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ} وجوب الأخذ بالأسباب، حيث أمر الله تعالى أم موسى أن ترضِعه وتحافظ عليه، حتى إذا خافت عليه ألقَتْه في اليمّ، لترعاه عناية الله تعالى.
التفسير الموضوعي[٢]

<u>بيان بعض أحكام الرضاع:</u>

١. **أولى الناس برضاع الصغير أمه**، وإن رغبت في ذلك؛ فلا يجوز أن يُنقل إلى غيرها.
٢. **تعيُّن الرضاع على الوالدة: لا يختلف العلماء أن الرضاع يتعين على الوالدة في أحوال؛ منها:**
   - إذا لم يقبل الولد ثدي امرأة إلا إياها.
   - وإذا لم يوجد مرضعة غيرها من النساء.
   - وإذا لم يجد الوالد نفقة الرضاع لغيرها لفقره، تعيَّن عليها بما تستطيع.
٣. **تمام مدة الرضاع حولين كاملين**، وذلك في قوله: {حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ} [البقرة: ٢٣٣]، وبالزيادة عليه لا تستحق الوالدة أجرةً ولو كانت مطلقة.

٤. **وجوب نفقة والد الرضيع للمرضعة**، وحدد النفقة بالرزق والكسوة، كما قوله تعالى: {وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة: ٢٣٣].

٥. **وجوب نفقة الوالد على ولده** لأجل عجزه، وعدم القدرة على القيام بنفسه.

٦. **فطام الرضيع:** أحال الله فطام الطفل قبل الحولين على اتفاق الوالدين على ذلك، وقيّد ذلك بتراضيهما وتشاورهما جميعًا؛ حتى لا يغلِّب واحدٌ منهم حظَّه على مصلحةِ الولد، فلا تفطِم الوالدةُ المطلقةُ ولدها قبل وقته للتزوّج فيتضرر الولد، ولا يأمر الوالد بفَطْمه قبل وقته، ليأخذه من أمه.

د.عبدالعزيز الطريفي[١٢]

{فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ} علَّق الأمر بإلقائه على خوفها، لعلها لو لم تخف لحفظه الله لها في حجرها.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

هذا والله التسليم للشريعة! ألقته دون أن تسأل عن الحكمة مع شدة غرابة الأمر!

د.عبدالله بلقاسم[١٩]

إن الله تعالى يُهيّئ لأوليائه من أسباب النجاة ما لا يخطِر على بال؛ ألا ترى كيف جعل البحرَ للطفل الوليد أكثرَ أمانًا من حِضن أمّه؟!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ} يتلطَّف الله تعالى بأوليائه، ويرعى مشاعرهم، ويُطَمئنُهم أنه معهم، يدبّر الأمر ويختار ما هو خيرٌ لهم؛ فما أحرى ذلك الصنع الجميل من الخالق بالثناء الجزيل من المخلوق!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

لا حزن مع ما رضيه الله لعبده المؤمن الرَّاضي بقضائه وقدره؛ فإنَّ الله تعالى لا يُقَدِّر عليه قدرًا إلا أراد له به خيرًا.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} ينبغي طمأنة المحزون ببشارته بمستقبله.

محمد العثيمين[١١]

يقين المؤمنين بالله يجعلهم يثقون بوعد الله تعالى بخلاف غيرهم.

التفسير الموضوعي[٢]

سبحان مَن يتولى أمر عباده الصالحين، فيلهمهم السداد والرشاد فيما ينفعهم من أمر الدنيا والدين!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ٨﴾.

فامتثلت ما ألهمناها من وضعه في صندوق، ورميه في النهر، فعثر عليه آل فرعون فأخذوه، ليتحقق ما أراده الله من أنَّ موسى سيكون عدوًّا لفرعون يُزيل الله ملكه على يده، جالبًا لحزنهم، إنَّ فرعون ووزيره هامان وأعوانهما كانوا آثمين بسبب كفرهم وطغيانهم، وإفسادهم في الأرض.

من معين الآية:

{فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ} ظواهر المشهد تقول: سقط في قبضة عدوه.. أرسلته أمه إلى حتفه! لكنّ الله يقول: {لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَنًا} وصدق الله وكذبت الظنون!

إبراهيم الأزرق[١٨]

هذه الآية من أكبر الأدلة على قدرة الله عز وجل، وأنَّه لا ينبغي للإنسان أن يعتمد على الأسباب المادية.

محمد العثيمين[١١]

قد يسعى الإنسان بما فيه حَتْفُه؛ فهؤلاء التقطوا هذا الطفل الذي سيكون عدوًّا لهم وحَزَنًا.

محمد العثيمين[١١]

مهما بلغ الإنسان في العُتوّ والاستكبار، فإنه لا يعلم المستقبل، فآل فرعون ما علِموا أن هذا الطفل سيكون عدوًا لهم وحزنًا.

محمد العثيمين[١١]

{لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا} المؤمنين أعداءٌ للكفار، وهم أيضًا حَزَنٌ لهم، يُساؤون بما يَسُرُّهم، وبالعكس.

محمد العثيمين[١١]

{إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ} لن يقوى الظالم في ظلمه إلا بأنصار وأعوان، يشيرون أو يباشرون أو يدافعون، فلا غروَ أن يكونَ الجميع خاطئين.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ} ما الفرق بين الخاطئ والمخطئ؟

مَنْ أتى الخطأ متعمدًا فهو خاطئ، ومن أتاه غير متعمد فهو مخطئ.

قال الله تعالى: {نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ} [العلق: ١٦]، وفي دعاء المؤمنين: {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} [البقرة: ٢٨٦].

والفعل من خاطئ: خَطِئ، ومن مُخطئ أخطأ.

السعدي[٨]

بيان سوء الخطيئة وآثارها السيئة وعواقبها المدمرة وتجلى ذلك فيما حلَّ بفرعون وهامان وجنودهما.

الجزائري[١٣]

تدبير الظالم يؤول إلى تدميره.

المختصر في التفسير[١]

﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾.

ولما أراد فرعون قتله قالت له امرأته: هذا الولد مصدر سرور لي ولك، لا تقتلوه لعله ينفعنا بالخدمة، أو نتخذه ولدًا بالتبني، وهم لا يعلمون ما سيؤول إليه ملكهم على يده.

من معين الآية

تأمَّل في روعة هذا الخطاب: متانة ورقة وإقناعًا، ثم انظر كيف أثَّر في أعظم طاغية عرفه التاريخ البشري؟

فأين نساؤنا ورجالنا عن هذا الهدي القرآني الرفيع؟

أ.د.ناصر العمر[١٦]

في الآية دليل على ما قيل: (إن البلاء موكّل بالمنطق)، والتفاؤل كلام؛ فامرأة فرعون قالت: {قُرَّت عَيْنٍ لِي وَلَكَ}، فتفاءلت به خيرًا، فحصل لها ذلك، وصار قرة عين، فلم يزل لها بمنزلة الولد الشفيق حتى كبر ونبَّأه الله وأرسله، فبادرت إلى الإسلام والإيمان به، رضي الله عنها وأرضاها.

محمد العثيمين[١١]، والسعدي[٨]

سل الله تعالى أن يجعل زوجتك وذريتك قرة عين لك[١٥].

بيان فضيلة امرأة فرعون من قولها: {لَا تَقْتُلُوهُ}، وفيها أيضًا دليل على فراستها؛ لأنها توقعت أن ينفعهم، ولكن حدث بعض ما توقعته، فقد نفعها هي فقط، وضرَّ فرعون.

محمد العثيمين[١١]

وجود الصالحين من بين المفسدين يخفف من لأواء فساد المفسدين؛ فإن وجود امرأة فرعون كان سببًا في صدِّ فرعون عن قتل الطفل؛ مع أنَّه تحقق أنَّه إسرائيلي.

ابن عاشور[١٥]

عندما تُحاك المؤامرات ضد بلد أو مجتمع أو فرد، يجب أن يقوم العقلاء رجالًا ونساءً بما يقدرون عليه لمنع الإفساد، أو التخفيف منه؛ كل حسب طاقته ومكانته، تدبَّر أثر موقف امرأة فرعون عندما أرادوا قتل موسى؛ فلا عذر لأحد مهما كان موقعه ألا يقوم بواجبه.

باختصار: أ.د. ناصر العمر[١٦]

قوله تعالى: {أَو نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} ليس دليلًا على جواز التبنّي، لأنَّ معناه يحتمل أن يكون: نكرمه ونجعله في بيتنا مثل الولد، أو أن يكون معناه: نتبنّاه.

وعلى هذا المعنى، لا دليل على جواز التبنّي، فالتبنّي كان مشروعًا حتى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، في بداية الدعوة، ثم نُسخ وحُرّم.

محمد العثيمين[١١]

الله سبحانه يُدبِّر لعباده الصالحين ما يسلمهم من مكر أعدائهم.

المختصر في التفسير[١]

﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠﴾.

وأصبح قلب أم موسى عليه السلام خاليًا من أيِّ أمر من أمور الدُّنيا إلَّا من أمر موسى فلم تَعُدْ تصبر، حتَّى قاربت أن تُظهِر أنَّه ولدها من شدَّة التعلُّق به، لولا أن ربطنا على قلبها بتثبيته، وتصبيرها لتكون من المؤمنين المتوكِّلين على ربِّهم، الصابرين على ما يقضِ به.

من مَعين الآية

{وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا} بعد ساعات قليلة من فراقه، ومع وعد الله لها، أي قلوب هي قلوب الأمهات!

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

في الآية دليل على أنَّ الطبيعة البشريَّة لا يُؤاخذ بها المرء، ووجه ذلك أنَّ فؤاد أم موسى كان ينبغي ألا يكون فارغًا من ذكر الله -عز وجل- ومن الآخرة، لكنَّه أصبح فارغًا، ليس فيه شيء أبدًا سوى ذكر موسى، وهذا مقتضى الطبيعة البشريَّة؛ لأنَّ الأمور العظيمة التي تنزل بالمرء تُنسيه كل شيء.

محمد العثيمين[١١]

{إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ} كادت من لهفتها أن تقول: يا ابناه! شغف الأم بولدها، يُسطِّره القرآن.

يا ويلهم أزواج يحرمون مطلقاتهم من رؤية أبنائهن.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

قليل من الصبر والكتمان قد يُوصل الآمل إلى أمله، وشيءٌ من ضعف الصبر وقلَّة الحفظ قد يُذهب بالبُغية، ويوقع في البليَّة.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا} المرء مفتقر إلى الله -سبحانه وتعالى- في كل أحواله، ولا سيَّما عند نزول الحوادث؛ فلولا معونة الله ما صَبر على بلاء، ولا شُكر عند الرخاء.

محمد العثيمين[١١]

لا يصح أن نشتق لله اسمًا من الفعل المسند إليه {رَبَطْنَا} فنقول: الرابط. لأنَّ كل شيء في الكون هو من فعل الله -عز وجل- ومن تقديره، ولا يجوز أن نشتق لكل فعل من الأفعال اسمًا، فأفعال الله متنوعة وكثيرة، والفعل غير الاسم... فقد يكون الفعل مقيّدًا، مثل قوله تعالى: {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ} [الأنفال:٣٠]، فلا نشتق اسمًا من هذا الفعل ونقول: الماكر من أسماء الله... لكن يجوز أن نقول: إن الله ماكرٌ بالماكرين، وما أشبه ذلك.

محمد العثيمين[١١]

حين تشعر بحاجة قلبِك كحاجة العضو الواهن للشدِّ عليه؛ لا تبحث عن مخلوق تشكو إليه أو حضن ترتمي فيه، قل: يا رب اربط على قلبي.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

ادع الله تعالى أن يربط على قلبك، وأن يثبتك في السراء والضراء[١٥].

{لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} لتكون بذلك الصبر والثبات من المؤمنين؛ فإنَّ العبد إذا أصابته مصيبة فصبَرَ وثَبَتَ، ازداد بذلك إيمانه، ودلَّ ذلك، على أن استمرار الجزَع مع العبد، دليل على ضعف إيمانه.

السعدي[٨]

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾.

وقالت أم موسى عليه السلام لأخته بعد إلقائها له في النَّهر: اتبعي أثره لتعرفي ما يفعل به، فأبصرته عن بُعدٍ حتَّى لا يُكشف أمرها، وفرعون وقومه لا يشعرون أنَّها أخته وأنها تتفقد خبره.

من مَعين الآية

الأخذ بالأسباب المنجية من البلاء لا ينافي الإيمانَ بالقضاء، وتصديقَ وعد الله؛ فأمُّ موسى لم تترك الاجتهادَ في البحث عن ولدها.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

لا تتبرم من قلق أمك عليك وملاحقتها لأخبارك، أم موسى وعدها الله وهي مع ذلك تتقصى.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

الأخت كنزٌ ثمين، فإن لم ينتفع بها أخوها في حاضره، فقد ينتفع بها في مستقبله، فإيَّاه والتفريطَ فيها.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} أبصرته على وجه كأنها مارة لا قصد لها فيه.

وهذا من تمام الحزم والحذر، فإنَّها لو أبصرته، وجاءت إليهم قاصدة، لظنُّوا بها أنَّها هي التي ألقته، فربَّما عزموا على ذبحه، عقوبة لأهله.

السعدي[٨]

﴿*وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾.

وامتنع موسى بتدبير من الله عن الرضاع من النساء من قبل أن نردَّه إلى أمِّه، فلما رأت أخته حرصهم على إرضاعه قالت لهم: هل أرشدكم إلى أهل بيت يقومون بإرضاعه ورعايته، وهم له ناصحون؟

من مَعين الآية

جواز استخدام الحيلة المشروعة للتخلُّص من ظلم الظالم.

المختصر في التفسير[١]

في الآية وجوب كفالة الصغير ورعايته.

ومن أحكام الكفالة:

١. **اتفق الأئمة الأربعة أن الولد يكون عند أمه إلى التمييز.**

٢. **الأم مقدمة في الحضانة على الأب ما لم تتزوج**؛ وإذا تزوجت المرأة سقط حقها في الحضانة بلا خلاف.

وإنما قدمت الأم في حضانة الولد:

- لأنَّه أصلح لنفس الأم؛ فإنَّ الأم أكثرُ تعلقًا بولدها من أبيه.
- ولأنَّه أصلح للولد؛ فالأم أرحم به من أبيه وأرفق عليه منه.
- أنَّ بقاء حضانة الصغير عند أمِّه دافع لصلة الأب بأهل ولده، وأدوم للمودة، وأقرب لأم الولد، وأحفظ للعهد.

٣. **الولد يكون في حضانة أمه ما دامت مسلمة**، ولا حضانة لمن عُرفَت بفسقٍ يُؤثر على الصغير وكل ما تسقُطُ به ولايةُ الرجلِ على المرأة من الفسق؛ تسقط به حضانةُ المرأة على الصغير من باب أولى.

د.عبدالعزيز الطريفي[٢]

حينما بذلت أم موسى ما تستطيع وتوكَّلت على الله تعالى تكفَّل لها بما لا تستطيع، فقد منع الله موسى الارتضاع إلا من ثدي أمّه.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ} أصل النصح: إخلاص الشيء من الشوائب، ومنه قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا} [التحريم: ٨] أي: خالصةً من الشوائب، لله وحده. فيكون المعنى: أنَّ أهل هذا البيت مخلصون لهذا الطفل إخلاصًا كاملًا بكفايته وبكفالته على الوجه الأتمّ.

محمد العثيمين[١١]

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾.

فرجعنا موسى إلى أمه كيما تقرّ عينها برؤيته عن قرب، ولا تحزن بسبب فراقه، ولتعلم أن وعد الله بإرجاعه إليها حق لا مرية فيه، ولكن أكثرهم لا يعلمون بهذا الوعد، ولا أحد يعلم أنها هي أمه.

من معين الآية

{كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ} بحيث إنَّه تربَّى عندها على وجه تكون فيه آمنةً مطمئنةً، تفرحُ به، وتأخذُ الأجرة الكثيرة على ذلك.

السعدي[٨]

{وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} أراها الله بعض ما وعدها به عيانًا، ليطمئنَّ بذلك قلبُها، ويزداد إيمانُها، ولتعلم أنَّه سيحصل وعد الله في حفظه ورسالته.

السعدي[٨]

هل أم موسى لم تكن تعلم بأنَّ وعد الله حقّ إلّا بعد أنْ ردَّ الله ابنها إليها؟

كلا، هي تعلم بأنَّ وعد الله حقٌ من قبل أن يُردَّ ابنها إليها، ولولا عِلمها ويقينها ما ألقته في اليمِّ.

إذًا ما المراد من قوله تعالى: {وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} في هذا السياق؟

المراد منه بلوغها درجة عين اليقين وحق اليقين.

فعلمها الأول هو علمٌ عن الشيء خبرًا، وهذا هو (علم اليقين).

وعلمها الثاني علمٌ عن الشيء وقوعًا، وهذا هو (عين اليقين).

وفرقٌ بين علم الإنسان بالشيء خبرًا وبين علمه به وقوعًا، ولهذا قال إبراهيم ﷺ: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} [البقرة:٢٦٠]، وجاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ» أخرجه أحمد (٢٤٤٦).

فالحاصل أن قوله: {وَلِتَعْلَمَ} يعني علمَ الشيءِ بعد وقوعه، وأمَّا علمها به خبرًا فقد تقدَّم، ولولا أنها واثقة بالأول ما ألقتْ.

بتصرف: محمد العثيمين[١١]

ما الفرق بين الوعد والوعيد؟

الوَعْد يكون بما يَسُرُّ، والوعيد بما يُحْزِن؛ فالخير من (وَعَد)، والشرَّ من (أَوْعَدَ).

محمد العثيمين[١١]

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ} فإذا رأوا السبب متشوِّشًا، شوَّش ذلك إيمانَهم، لعدم علمهم الكامل، أنَّ الله تعالى يجعلُ المحنَ والعقباتِ الشاقَّة، بين يدي الأمور العالية والمطالب الفاضلة.

فاستمر موسى عليه الصلاة والسلام عند آل فرعون، يتربَّى في سلطانهم، ويركبُ مراكبَهم، ويلبسُ ملابسَهم، وأمُّه بذلك مطمئنَّة، قد استقرَّ أنَّها أمُّه من الرضاع، ولم يُستنكر ملازمتُه إيَّاها وحنوُّها عليه.

السعدي[٨]

تأمَّل لطف الله تعالى، وصيانة نبيِّه موسى من الكذب في منطِقِهِ، وتيسير الأمر، الذي صار به التعلُّق بينه وبينها، الذي بانَ للناس هو الرضاع، الذي بسببه يسمِّيها أمًّا، فكان الكلامُ الكثيرُ منه ومن غيرِهِ في ذلك كلِّه، صدقًا وحقًّا.

السعدي[٨]

قليل من الابتلاء الذي قابلته أم موسى بالصبر أنالها الأمان والرزق الحسن.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

ما أكثر مَن يُسيء الظنَّ بربِّه، فلا تراه يَركَن إلى وعده، جهلًا منه به!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

تحقيق وعد الله واقع لا محالة.

المختصر في التفسير[١]

عمل قلبي

(اليقين)

(اليقين ملاكُ القلب، وبه كمال الإيمان، وباليقين عُرِفَ الله).

- **معنى اليقين:**

- لغةً: زوال الشك.

- شرعًا: هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك، الموجب للعمل(*).

- **الفرق بين العلم واليقين:**

العلم على درجات، ومن أعلى درجات العلم وأكملها وأرفعها وأثبتها: درجة اليقين.

- **الفرق بين الثِّقة واليقين:**

الثقة ثمَرَة اليقين، فإذا تيقَّن العبد أنَّ هذه الشريعة من عند الله، فإنَّه يطمئنُّ إلى أحكامها، وأنَّه لا حَيْف فيها.

- **أهمّية اليقين ومنزلته:**

قال ابن القيم: (اليقين والمحبَّة هما ركنا الإيمان، وعليهما ينبني، وبضعفهما يكون ضعف الأعمال، وبقوّتهما قوّته).

- **مراتب اليقين:**

أدناها: علم اليقين، **وتليها:** عين اليقين، **وأعلاها:** حقُّ اليقين.

- **فـ(عِلْمُ اليقين):** هو التصديق الكامل الجازم، الذي لا تردد فيه، بحيث لا يعرض له شك ولا شُبهة ولا ريب بحال من الأحوال؛ كعلمنا بالجنة بوجودها ونعيمها؛ كما أخبرنا الله عزَّ وجلَّ.

- **(عيْنُ اليقين):** فإذا كان اليوم الآخر ورأينا الجنة بأعيننا، فإنَّ هذه المرتبة هي مرتبة عين اليقين، وهي التي سألها إبراهيم ﷺ ربَّه، فقال: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ} [البقرة: ٢٦٠]؛ فإبراهيم كان كامل الإيمان، راسخ اليقين، لكن أراد أن ينتقل من مرتبة من مراتب الكمال وهي (علم اليقين)، إلى مرتبة أعلى منها وهي (عين اليقين).

- **(حقُّ اليقين)** وهذه مرتبة مباشرة الشيء بالإحساس فعلًا، فإذا أُدخل أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ: فذلك حينئذٍ حقُّ اليقين.

- **يُعرف تحقق اليقين في أحوال وموا قف، منها:**

- **موقف التوبة:** فالعبد الذي كمل اليقين في قلبه، لا يتردد إذا وقع منه ذنب في المبادرة إلى التوبة؛ لأنه سيعلم أنه سيأتي عليه يوم يُحاسب فيه على القليل والكثير والدقيق والجليل فلا تردد عنده في التوبة.

- **موقف المصيبة:** وعند نزول المصيبة تراه ثابتًا صابرًا، يعلم أنَّ ربَّه عزَّ وجلَّ إنَّما ابتلاه ليمحصَّه ويرفعه.

- **حال الحاجة:** وإذا احتاج وافتقر توجَّه بقلبه إلى الله وحده، لا يلتفت إلى المخلوقين، ولا يتعلق بهم.

- **حال الغنى:** ليس ممن لا يشكر إذا أغناه الله عز وجل، وينسى أنَّ ربَّه هو الذي أعطاه وأولاه.

- **الطريق إلى تحقيق اليقين:**

١. **العلم، ويشمل:**

- **(العلم بالله)** فإذا عرَف العبد ربَّه معرفة صحيحة بأسماءه وصفاته؛ فإنَّ قلبه يطمئنُّ إلى ربِّه المُتصف بصفات الكمال، ويُحسن الإقبال عليه بتمام الافتقار والحاجة إليه؛ فيجد من ربِّه كل مطلوب له.

- **(العلم بالنَّفس، والعلم بالخلق)** فيعلم قدر نفسه وضعفه وعجزه؛ فلا يركن إلى نفسه، ولا إلى أحد من المخلوقين، لعلمه أنهم مربوبون، وأنَّ الله عزَّ وجلَّ يُصرِّفُهم ويُدبِّرُهم، ومن ثمَّ فلا يمتدَّ طمعه إلى أحدٍ غير الله عزَّ وجلَّ.

٢. **دفع الخواطروالوساوس، والقضاء على أسباب الشكوك والشبهات**، فلا يقرأ في كتب الشُّبَه، ولا يُجادلُ أهلها، ولا يجعل قلبه عُرضة لسهام أهل الضلالة.

٣. **جهاد الشيطان فيما يُزيِّن له من الشهوات والمعاصي.**

- **ثمرات اليقين:**

١. اليقين إذا خالط قلب الإنسان، **أفاض على قلبه نورًا وإشراقًا**، ونفى عنه كِيرَ الشكوك والريب والشبهات التي تُقْلِقُه.

٢. **وهو سبب الهدى والفلاح في الدنيا والآخرة.**

٣. **يُورِثُ القلب الزُّهد في الدُّنيا** وقِصَر الأمل، فلا تتعلَّق نفسه بها، لأنَّه يعلم أنَّها ليست موطنًا له، وإنَّما هي دار ابتلاء.

٤. **يُورث الرضا بقضاء الله تعالى**، قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّـهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّـهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [التغابن: ١١].

٥. **يُورِثُ التوكل على الله عزَّوجلَّ**، يقول الحسن: (يا ابن آدم، إنَّ من ضعف يقينك أن تكون بما في يدِكَ أوثَقَ منك بما في يد الله عزَّ وجلَّ) أخرجه ابن أبي الدنيا.

٦. **يُولِّد الصبر**، يقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله: (لا يمكن العبدَ أن يصبر إن لم يكن له ما يطمئنُّ له، ويتنعَّمُ به، ويغتَذِيَ به، وهو اليقين).

٧. **يحمل صاحبه على الجدِّ في طاعة الله**، والتشمير والمسارعة والمسابقة في الخيرات.

٨. **الثبات أمام الأعداء حتى النصر أو الشهادة:** وهكذا ثبَّت الله نبيَّه و موسى وأخاه هارون عليهما السلام أمام فرعون، ولما انحصر بقومه بين البحر وفرْعَوْنَ وجنوده، قال قومه: {إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الشعراء: ٦١-٦٢]، وهذا هو ثبات اليقين.

٩. **أعمال أهله الصالحة تكون راجحة في الموازين عند الله تبارك وتعالى،** فصلاة صاحب اليقين ليست كصلاة غيره.

١٠. **اليقين سبب لدخول الجنة:** جاء في (سيد الاستغفار) قوله ﷺ: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفارِ أنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي لا إلَهَ إلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي؛ فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ. قالَ: ومَن قالَها مِنَ النَّهارِ مُوقِنًا بها، فَماتَ مِن يَومِهِ قَبْلَ أنْ يُمْسِيَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ، ومَن قالَها مِنَ اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بها، فَماتَ قَبْلَ أنْ يُصْبِحَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ»

رواه البخاري (٦٣٠٦).

- **السلف واليقين:**

- «أُصِيبَ حَارِثَةُ يَومَ بَدْرٍ وهو غُلَامٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إلى النبيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يا رَسولَ اللَّهِ، قدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي، فإنْ يَكُنْ في الجَنَّةِ أصْبِرْ وأَحْتَسِبْ، وإنْ تَكُ الأُخْرَى تَرَى ما أصْنَعُ، فَقَالَ: ويْحَكِ، أوَهَبِلْتِ، أوَجَنَّةٌ واحِدَةٌ هي، إنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وإنَّه في جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ» رواه البخاري (٣٩٨٢).

- وكان من كمال يقين ابن تيميَّة –رحمه الله–: ما يقع له من إجابة الدعاء، مع شدَّ وثوقه في الإجابة؛ فمن ذلك:

قال تقي الدين عبدالله بن أحمد بن سعيد: (مرضتُ بدمشق مرضةً شديدة، فجاءني ابن تيميَّة، فجلس عند رأسي، وأنا مُثقلٌ بالحُمَّى والمَرَض، فدعا لي، ثم قال: قُمْ، جاءت العافية، فما كان إلا أنْ قام، وفارقني؛ وإذا بالعافية قد جاءت، وشُفيتُ لوقتي)(**).

(اللهم اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصائب الدُّنْيَا)(***).

(*) تفسير السعدي (١/٤).

(**) الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيميَّة (٣٢١).

(***) أخرجه الألباني في الكلم الطيب (٢٢٦).

مناسبة

ولما ذكر الله مبدأ موسى ذكر مرحلة شبابه، فقال[١]:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾.

ولما بلغ سن اشتداد البدن، واستحكم في قوته، أعطيناه فهمًا وعلمًا في دين بني إسرائيل قبل نبوَّته، وكما جزينا موسى على طاعته نجزي المحسنين في كل زمان ومكان.

من مَعين الآية

لا يستتمُّ علم المرء، ولا يستدَّ رأيه ويُحْكِم وضعَ الأمور مواضعَها إلا إذا بلغ أشده؛ ولهذا قالوا: رأيُ الشيخ خيرٌ من مشهد الغلام، فعلى صغار السن الرجوع إلى ذوي الأسنان.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

المحسنين في عبادة الله والمحسنين لخلق الله، يُعطيهم الله علمًا وحكمًا بحسب إحسانهم، ودل هذا على كمال إحسان موسى عليه السلام(*).

وقَالَ الْحسن البصري -رحمه الله-: من أحسن عبادةَ الله فِي شبيبته؛ أعطاه الله الحكمةَ عند كِبرِ سِنِّه(**).

(*) السعدي[٨]

(**) ابن القيم، مفتاح دار السعادة[١٦]

أحاديث نبوية

حَفِظ الله موسى عليه السلام رغم كل المخاطر التي تكالبت عليه، وكذلك حفظ الله للعبد الذي يلجأ إليه ويعتصم به ويتوكل عليه سبحانه، وقد دلتنا السنة على طريق حفظ الله للعبد:

٣. عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ يَوْمًا فَقَالَ ﷺ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ».

رواه الترمذي في سننه (٢٥١٦).

وكفى بالله وكيلاً

قتل القبطيّ خطأ،
والخروج من مصر

المقطع الثالث

بعد بيان ما أنعم الله به على موسى -عليه السلام- من إنجائه صغيرًا من الذبح على يد فرعون، وإيتائه الحكمة والعلم كبيرًا تهيئةً للنُّبوة، ذكر ما أنعم به عليه من الخروج آمنًا من مصر بعد قتله قبطيًا مصريًا، كان سبب خروجه من الديار المصرية إلى بلاد مدين(*)، قال تعالى:

﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٦ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ١٧ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ ١٨ فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٩ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١﴾.

(*) الزحيلي، التفسير المنير (٢٠/٧٣).

معاني الكلمات

مِنْ شِيعَتِهِ	من قوم موسى -عليه السلام- وهم بنو إسرائيل.
فَوَكَزَهُ	ضربه بجُمع كفِّه.
ظَهِيرًا	نصيرًا.
يَتَرَقَّبُ	يتوقَّع المكروه.
يَسْتَصْرِخُهُ	يطلب منه النصر.
لَغَوِيٌّ	كثير الغواية، ضالٌّ عن الرشد.

تفسير الآيات

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

ودخل موسى المدينة في وقت راحة الناس في بيوتهم، فوجد فيها رجلين يتخاصمان ويتضاربان، أحدهما من بني إسرائيل -قوم موسى عليه السلام- والآخر من القِبْط -قوم فرعون أعداء موسى- فطلب الَّذي هو من قومه أن يُعينه على الَّذي هو من القِبْط أعدائه، فضرب موسى القبطي بقبضة يده، فقتله بتلك الضربة لقوّتها، قال موسى عليه السلام: هذا من تزيين الشيطان وإغرائه، إنَّ الشيطان عدوٌّ مضِلٌّ لمن اتَّبعه، واضح العداوة، فما حصل مني بسبب عداوته، وبسبب أنَّه مضلّ يريد إضلالي.

من معين الآية:

في قوله تعالى: {فَاسْتَغَاثَهُ} جواز الاستغاثة بالمخلوق، فهي مشروعة بما تُفيد فيه، أمّا ما لا يُفيد فيه، فلا يجوز.

فعلى هذا إذا استغاث إنسان بميّت، أو بحيّ بما لا يقدر عليه، فلا يجوز؛ لأنه لا يُفيده، وإذا استغاث بحيّ فيما يقدر عليه فهو جائز.

باختصار: محمد العثيمين[١١]

في قوله تعالى: {فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ} إثبات العداوة والولاية، وهو أصل في الدين، فإن ولاية المؤمنين واجب المؤمن، والبراءة من الكفار واجب المؤمن.

محمد العثيمين[١١]

نصر المظلوم وإغاثة الملهوف دِينٌ في الملل كلها، وفرض في جميع الشرائع.

التفسير الموضوعي[٢]

لم يُرد موسى-عليه السلام- قتل القبطي، لكن وافقت وكزته الأجل، وكان عنها موته فندم، ورأى أن ذلك من نزغ الشيطان في يده، وأنَّ الغضب الذي اقترنت به تلك الوكزة كان من الشيطان ومن همزه، ونصَّ هو- عليه السلام- على ذلك، وبهذا الوجه جعله من عمله.

ابن عطية[١٥]

الله -سبحانه وتعالى- يُجري الأُمور بأسباب؛ فدخول موسى -عليه السلام- المدينة، ووجود رجلين، وقتله النفس، كل هذا كان سببًا لخروجه، ثم نُبوّته.

محمد العثيمين[١١]

{قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} في هذا دليل على أنَّ الأصل في النَّفس الإنسانية هو الخير، وأنَّه الفطرة، وأنَّ الانحراف عنها يحتاج إلى سبب غير فطري؛ وهو تخلل نزغ الشيطان في النفس.

ابن عاشور[١٥]

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾

قال موسى داعيًا ربه معترفًا بما حصل منه: ربِّ إنّي ظلمت نفسي بقتل هذا القِبْطي، فاغفر لي ذنبي، فبيَّن الله لنا مغفرته لموسى، إنَّه هو الغفور لمن تاب من عباده، الرحيم بهم.

من معين الآية:

قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ{ فاعترف بظلمه نفسه فيما كان من جناية على غيره لم يؤمر بها.

ابن تيمية[١٥]

إنَّ ندم موسى حمله على الخضوع لربّه والاستغفار عن ذنب باء به عنده تعالى، فغفر الله خطأه ذلك. قال قتادة: عرف -والله- المخرج فاستغفر.

المحرر الوجيز[١٦]

إن قيل: كيف استغفر من القتل وكان المقتول كافراً؟ فالجواب: أنه لم يؤذن له في قتله، ولذلك يقول يوم القيامة: إني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها.

ابن جزي[١٥]

يُؤخذ من قوله تعالى: {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي} جواز التوسُّل إلى الله -سبحانه وتعالى- بحال الداعي.

ويكون التوسُّل أيضًا بالثناء على الله بأسمائه وصفاته، وكذلك بأفعاله التي يُنعم بها.

محمد العثيمين[١١]

في قوله تعالى: {فَغَفَرَ لَهُ} استجابة الله -سبحانه وتعالى- وما تضمنته هذه الاستجابة من صفات؛ لأن الاستجابة تتضمن السمع والعلم والقُدرة والغِنى، فإذا استجاب الله لإنسان فمعناه أنه كان قد سمعه، وعَلِم بحاله، وقدَر على إعطائه سُؤله.

محمد العثيمين[١١]

إثبات كرم الله، لقوله تعالى: {فَغَفَرَ لَهُ}.

محمد العثيمين[١١]

{فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} خصوصًا للمخبتين، المبادرين للإنابة والتوبة، كما جرى من موسى عليه السلام.

السعدي[٨]

تذكر ذنبا فعلته، واستغفر الله، وقل: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي[ت].

اعلم أن الله جلَّ وعلا جميلُ السِّتر، عظيم التجاوز، كثير الإحسان؛ فلا تجعل الذنبَ مهما عظُم بابًا لليأس والوقوف، ولكن اجعله بحسن التوبة مفتاحًا لتطهير النفس والحذر من الانسياق خلف أهوائها، وطريقًا للارتقاء بها إلى عليائها.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

أسماء حسنى

(الغفور الرحيم) جلّ جلالُه

- **معنى اسم الله الغفور جل جلاله:**

- **في اللغة:** الغفور مبالغة من الغَفْر؛ أي: الستر التغطية.

- **في حقِّ الله تعالى:** قال الخطابي: "فالغفَّار الستار لذنوب عباده والمسدل عليهم ثوب عطفه ورأفته؛ ومعنى الستر في هذا: أنه لا يكشف أمر العبد لخلقه، ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تشهره في عيونهم".

- **معنى اسم الله الرحيم جل جلاله:**

- **في اللغة:** مشتق من صفة الرحمة؛ والرحمة: هي الرِّقَّة والتعطُّف، والرحيم مبالغة لصفة الرحمة.

- **في حقِّه تعالى:** يقول ابن القيم: (إنَّ الرحمن" دالٌّ على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دالٌّ على تعلُّقها بالمرحوم، فالأول دالٌّ على أنَّ الرحمة صفته، والثاني دالٌّ على أنَّه يرحم خلقه برحمته).

- **مناسبة الاقتران بين اسمَيْ الله تعالى في الآية:**

تعليل لجملة "فاغفر لي"؛ علل المغفرة له بأنه شديد الغفران ورحيم بعباده.

- **الهدايات:**

- غفور من أبنية المبالغة، فالله عزَّ وجل غفور؛ لأنه يفعل ذلك بعباده مرة بعد أخرى إلى ما لا يُحصى.

- "الله تعالى يكثر منه الستر على المذنبين من عباده، ويزيد عفوه على مؤاخذته".

- وهو سبحانه يستر الخواطر المذمومة والإرادات القبيحة التي قد تعرض على بعض القلوب، ولو كُشِفت لَمُقِتَ صاحبها وهجره الناس.

- الغفور عز وجل يُبدل السيئات حسنات بفضله ومنِّه.

- لا يدب القنوط في قلب من علم اسمي الله تعالى الرحيم الغفور جل جلاله؛ فرحمته سبقت غضبه.

- رحمة الله تعالى فضل وإحسانٌ محض، بخلاف رحمة المخلوق لا تكون إلا بمقابل، وإن كان ذلك المقابل معنويًا (سعادة، راحة، طمأنينة...).

- الله سبحانه رحيم بالمؤمن؛ إذ يبتليه بما يكره ليغفر له ذنبه بما صبر.

- "رحمة الله قريب من المحسنين، والتائب من الذنوب من المحسنين".

- **الآثار السلوكية والعملية:**

- اقتدي بهدي الأنبياء -عليهم السلام- بالاعتراف بالذنب قبل طلب المغفرة؛ فهو من أسباب قبول الغفور لتوبتك.

- علمك بمعنى اسم الله الغفور، يحثك على ألَّا تكون سببًا في هتك ستر مسلم أبدًا.

- علمك بمغفرة الله تعالى لذنوب عباده كفيل بمجاهدة نفسك للصفح عمن ظلمك.

- احرص أن يكون استغفارك بقلبك مع لسانك، لتحل عليك بركات التوبة والمغفرة.

- دخول الجنة يكون برحمة الله، ومن عباد الله من هو مطرود من رحمته باقترافه بعض المعاصي التي تُوجب لعن الله، الذي هو الطرد من رحمته تعالى.

- رحيم غفور؛ نبأنا الله سبحانه حتى نحسن الظن به ولا نقنط من رحمته إذا أخطأنا؛ لا أن نأمن مكره.

- الرحيم يحب الرحماء ويرحمهم؛ لتنال رحمته اشفق على الغافل بالترهيب والترغيب معًا، وانه عن المنكر بالإحسان.

- **من ضوء الهدي النبوي في اسمَيْ الله جل جلاله الغفور والرحيم:**

- عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال:

«قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ». صحيح البخاري (٨٣٤).

- عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ فِيما يَرْوِي عن رَبِّهِ تَبارَكَ وتَعالَى، قالَ: «إنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذلكَ، فمَن هَمَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها، كَتَبَها اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، وإنْ هَمَّ بها فَعَمِلَها، كَتَبَها اللَّهُ عزَّ وجلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَناتٍ إلى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إلى أضْعافٍ كَثِيرَةٍ، وإنْ هَمَّ بسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها، كَتَبَها اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، وإنْ هَمَّ بها فَعَمِلَها، كَتَبَها اللَّهُ سَيِّئَةً واحِدَةً»، وفي رواية: وزادَ: «ومَحاها اللَّهُ، ولا يَهْلِكُ علَى اللهِ إلَّا هالِكٌ» رواه مسلم (١٣١).

هذا من سعة رحمته تعالى ولطفه، أنَّ الحسنات بالعشرات إلى سبعمائة ضعف، وأمَّا السيئة فتُكتب واحدة، فمن غلبت سيئاته حسناته بعد هذا الفضل العظيم، فهو من المفاليس، المسرفين على أنفسهم، لهذا قال ﷺ: (ولا يهلك على الله إلا هالك).

- **من التأمل في الآيات الكونيّة وربطها باسمي الله تعالى الغفور والرحيم:**

- من عظيم رحمته سبحانه أنَّ له مئة رحمة، بها يتراحم الخلق بين بعضهم، وذَخَر تسعة وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة.

- الله رحيم بالمؤمن؛ إذ يبتليه بالشدائد حتى يُهيّئ نفسه للأمور العظيمة والجليلة؛ كما في قصة موسى عليه السلام، وسيرة النبي محمد ﷺ، وسِيَر الصالحين.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾

ثم واصل الخبر عن دعاء موسى الَّذي قال فيه: ربِّ بسبب ما أنعمتَ عليَّ به من القوَّة والحكمة والعلم فلن أكون مُعينًا للمجرمين على إجرامهم.

من معين الآية:

يا مَن أنعم الله عليه بنعمة؛ كنعمة سلطان أو وظيفة أو مال أو قوة أو ذكاء؛ لا تجعل لأهل الإجرام منها نصيبًا يستعينون به على معصيتهم، وتأدَّب مع المنعم جل جلاله؛ فأطِعه فيها ولا تعصِه، وأوصِل لخلقِه خيرك، وأبعِد عنهم شرَّك.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

النِّعم تقتضي من العبد فعل الخير، وترك الشر.

السعدي[٨]

شُكر النِّعَم يقتضي الابتعاد عن مواطن الفتن.

التفسير الموضوعي[٢]

﴿فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۖ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ﴾.

فلما حصل منه ما حصل من قتل القِبْطي أصبح في المدينة خائفًا يترقَّب ماذا يحدث، فإذا الَّذي طلب منه العون والنصر على عدوِّه القِبْطي بالأمس يستعين به على قِبْطي آخر، قال له موسى: إنَّك لذو غِواية وضلال واضح.

من معين الآية

لقد أذنب بالأمس ولكنه نهض يواصل كفاحه من أجل المستضعفين، نفسٌ تأخذ من الخطأ وقودًا للحياة.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

الخوف غريزة بشرية، وهو لا ينافي المعرفة بالله ولا التوكل عليه.

التفسير الموضوعي[٢]

سوء صحبة الأحمق الغوي؛ فإنَّ الإسرائيلي لغوايته وحُمْقِه هو الذي سبَّب متاعب موسى.

الجزائري[١٣]

ليس من القوة والشجاعة في شيء أن يخوض المرء حَوْمة المواجهة وليس لديه إلا استنصار الآخرين، فذلك منه حُمْق وغَواية، بل قد يوقع غيره في تحمل آثارها ونتائجها.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾.

فلمَّا أنْ أراد موسى -عليه السلام- أنْ يبطِش بالقِبْطي الَّذي هو عدوٌّ له وللإسرائيلي، ظنَّ الإسرائيلي أنَّ موسى يريد البطش به لمَّا سمِعَه يقول: {إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ}، فقال لموسى: أتريد أن تقتلني مثلما قتلت نفسًا بالأمس، لا تريد إلا أن تكون جبارًا في الأرض تقتل الناس وتظلمهم، وما تريد أن تكون ممن يُصلِحُون بين المتخاصمين.

من معين الآية

عداوة المخالف في الدين لازمة، وهي أعظم من العداوات الناشئة عن الخصومات؛ فلهذا أثبت الله عداوة القبطيّ لموسى مع أنَّ الخصومة بين الإسرائيليّ والقِبطيّ، وليست بين موسى والقبطيّ.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأمْسِ إِنْ تُرِيدُ إلا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأرْضِ} لأنَّ من أعظم آثار الجبار في الأرض، قتل النفس بغير حق.

السعدي[٨]

المؤمن القويُّ العاقل يستعمل قوَّته في الصلاح والإصلاح، وليس من عادته أن يستعملها في الجَبروت والإفساد.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾

ولما انتشر الخبر وجاء رجل من أقصى المدينة مُسرعًا شفقةً على موسى من الملاحقة، فقال: يا موسى، إنَّ الأشراف من قوم فرعون يتشاورون بقتلِك فاخرج من البلد، إنِّي لكَ من النَّاصحين شفقةً عليك من أنْ يُدركوك فيقتلوك.

من معين الآية:

{وَجَآءَ رَجُلٌ} رجل مغمور أنقذ الله به الرسالة، لا تستصغر أي كلمة ربما تُولد منها الحياة.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

{قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ} في ساعات الطوارئ تُختصر الكلمات ويُصبِح الخطاب مُباشرًا حتى مع العظماء.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

{إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ} لا تتوقف عند التحذير وعرض المشكلة، اقترح حلولًا.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

الداعية الموفَّق لا يضِنُّ بالنصيحة التي تدفع عن الناس الضرر، وتنجيهم من نزول الخطر، ولو تحمَّل في ذلك بعض العناء، وخاف على نفسه حصولَ شيء من البلاء.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

انظر كيف جمعت هذه الآية صفات الدعاة الناصحين: الحرص على مصلحة الناس، ودفع ما يضرهم، وتحمل التعب والمشقة من أجلهم، واقتراح الحلول المناسبة لحل المشاكل.

د.محمد بن عبدالله القحطاني[١٦]

دافع عن أحد الصالحين بالذبّ عنه[١٥].

﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

فامتثل موسى أمر الرجل الناصح، فخرج من البلد خائفًا يترقَّب ماذا يحدث له، قال داعيًا ربَّه: ربِّ نجِّني من القوم الظالمين، فلا يصلوا إليّ بسوء.

من معين الآية

{فَخَرَجَ مِنْهَا} مهما علا مقامك لا ترفض النصيحة.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

التوكُّل على الله لا يعني إهمال التهديدات الحقيقية، بل من الواجب اتخاذ أسباب النجاة، والاتجاء إلى الله بالدعاء.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]، المختصر في التفسير[مخ]

رغم كل تضحياته من أجل بني إسرائيل خرج وحيدًا لم يرافقه ولو واحد منهم، اعمل لربِّك ولا تُعَوِّل على الرفاق.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

مخاوفك وآلامك ربما تسوقك إلى حيث تفتح لك أبواب السعادة؛ أمن، وزواج، ثم كلَّمه ربُّه.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

{قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ} إذا نزلت بك المخاوفُ من الظالمين، فاستعِن على دفعها بدعاء ربِّ العالمين، فإنَّه مَنجاك الذي لا خوف في ظلِّه.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

لم يدَعِ الله تعالى نبيَه موسى عليه السلام وهو يتربَّى بين جنَبات القصر، أفلا يرعاه ويحميه وهو وحيدٌ مطارد؟

هدايات القرآن الكريم[١٤]

أحاديث نبوية

المبادرة بالتوبة من الذنب فرضٌ على الفور، ولا يجوز تأخيرها، والله تعالى يتوب على من تاب، ويغفر الذنوب جميعًا:

٤. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ»**.

رواه مسلم (٢٧٠٣).

٥. عن أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: **«لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِن أَحَدِكُمْ كانَ على رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ منه وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فأيِسَ منها، فأتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ في ظِلِّهَا، قدْ أَيِسَ مِن رَاحِلَتِهِ، فَبيْنَا هو كَذلكَ إذَا هو بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فأخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قالَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَ أَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ»**.

رواه مسلم (٢٧٤٧).

٦. عن أبي بردة رضي الله عنه، قال: سمعت الْأَغَرَّ، وكان من أصحاب النبي ﷺ، يُحدث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ، مَرَّةٍ»**.

رواه مسلم (٢٧٠٢).

تُحرَّم نُصرة المجرم بمعاونته على إجرامه، والواجب نصرته بكفّه عن ظلمه قدر المستطاع، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

٧. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، هذا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكيفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ»**(*).

رواه البخاري (٢٤٤٤).

(*) لأنَّه إذا مَنَعَه مِن ظُلمِه فقدْ نصَرَه على هواهُ وعلى شَيطانِه الَّذي يُغويه، وعلى نفْسِه الَّتي تَأمُرُه بالسُّوءِ، وذلك هو أفضلُ النَّصر.

أللمظلوم نُصرة
في الديانات السماوية الأخرى؟

اللجوء إلى مَديَن، والزواج
من ابنة الرجل الصالح

المقطع الرابع

بعد أن تمالأ فرعون وقومه على قتل موسى، وأخبره مؤمن من آل فرعون بما عزموا عليه، ونصحه بالخروج من مصر، خرج مُتَّجهًا إلى أرض مدين، ماشيًا -برعاية الله وهدايته الطريق- للنسب الذي بين الإسرائيليين وبين أهل مدين(*)، قال تعالى:

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾.

(*) الزحيلي، التفسير المنير (٧٣/٢٠).

معاني الكلمات

تِلْقَاءَ مَدْيَنَ	جهتها.
سَوَاءَ السَّبِيلِ	الطريق الأحسن إلى مدين.
تَذُودَانِ	تحبسان غنمهما عن الماء.
يُصْدِرَ الرِّعَاءُ	ينصرف الرعاة بأغنامهم.
شَيْخٌ كَبِيرٌ	رجل مُسن، وليس هو شعيبًا، خلافًا للمشهور.
تَأْجُرَنِي	تكون أجيرًا لي في رعي الغنم.
حِجَجٍ	سنين.
الْأَجَلَيْنِ	المُدَّتين، الثمان أو العشر.
فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ	فلا أُطَلَبُ بزيادةٍ في المُدَّة.
وَكِيلٌ	حافظ يراقبنا.

تفسير الآيات

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾

ولما سار مُقبلًا بوجهه جهة مَدْين قال: عسى ربي أن يرشدني إلى خير طريق، فلا أضلّ عنها.

من معين الآية:

دعوة موجزة قادته إلى الأمن والزواج والأُنس والغنى عشر سنين؛ لا تنسَ الدعاء أبدًا.

د. عبد الله بلقاسم[١٩]

متى أشكَلت عليك الأمور، والتبسَت في عينك الوُجهات، فاستهدِ ربّك في أن يختارَ لك ويُلهمَك الصواب، فإنه لا يُخيّب عبدًا استهداه، وكان من أهل رضاه.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ} {وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا} الآية [البقرة:٢٥٠]، المتأمل لهذه الآيات وأمثالها يلحظ اقتران الدعاء بالعمل، دون الاقتصار على أحدهما، وهو منهج للأنبياء مطرد.

أ.د. ناصر العمر[١٦]

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾

ولما وصل ماء مَدْين الَّذي يستقون منه وجد جماعة من الناس يسقون مواشيهم، ووجد من دونهم امرأتين تحبسان أغنامهما عن الماء حتَّى يسقي الناس، قال لهما موسى عليه السلام: ما شأنكما لا تسقيان مع الناس؟ قالتا له: عادتنا أن نتأنَّى فلا نسقي حتَّى

ينصرف الرعاة؛ حذرًا من مخالطتهم، وأبونا شيخ كبير السن، لا يستطيع أن يسقي، فاضطررنا لسقي غنمنا.

من معين الآية:

قال: {مِنْ دُونِهِمُ} أي: ليستا معهم؛ للدّلالة على أن المرأة لا تختلط بمجامع الرجال، بل تعتزلهم، فقد كانتا تذودان؛ قال ابن عباس: "يعني بذلك حابستَيْنِ غنمهما".

د.عبدالعزيز الطريفي[١٢]

جواز مباشرة المرأة الأعمالَ والسعي في طرق المعيشة، مع الستر والحياء.

التفسير الموضوعي[٢]

الإيجاز في الكلام مع النساء هو أسلوبُ الكرام؛ فموسى ما نَشرَ معهما ثوبَ الكلام، ولا زاد على قوله: {مَا خَطبُكُمَا}؟ هكذا يصنع المخلصون، حافظون لعورات المسلمين.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

ربَّى بناته على الحياء فأكرمه الله وساق له نبيًّا ليُصاهره ويرعى غنمه، حياء بناتنا لن يحرمهنّ نصيبهنّ من الرزق.

د. عبد الله بلقاسم[١٩]

لا تتألم حين يقسو عليك الآخرون، ربما تختبئ الألطاف خلف قسوتهم، لو سقى القوم للفتاتين لما انتبه إليهما موسى.

د. عبد الله بلقاسم[١٩]

دومًا لا تفقد الأمل، هل كانت الفتاتان تشعران وهما في تعب الذود أنَّه على بعد خطوات راحة عشر سنين ومصاهرة نبي؟

د. عبد الله بلقاسم[١٩]

في الآية: استحباب عرض قضاء حاجة المرأةِ عند ظهور تعطيلها؛ لأنهن غالبًا يمنعهن حياؤُهُن عن طلب مساعدة الرجال.

د.عبدالعزيز الطريفي[١٢]

تقديم الضعَفة والنساء، ونجدة المحتاجين والبؤساء، من شيم الرجال الكرماء.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

لا ينبغي أن يُحكم على الأمور إلا بعد معرفة الأسباب، فإن موسى لم يحكم على المرأتين بأيِّ حكم إلا بعد أن سألهما {مَا خَطْبُكُمَا}.

محمد العثيمين[١١]

علمت الفتاتان أن الفطرة السوية تُشْعِر بالتوقير والاحترام والرحمة للكبار فأخبرتا موسى عليه السلام بذلك.

د. عبد الله بلقاسم[١٩]

لا تخرج النساء إلى موضع تزدحم فيه أقدامُ الرجال إلا أن يكونَ ثمَّة حاجة، وإلا فالأصل المنعُ من ذلك، حتى إن موسى عليه السلام استفسر عن وجودهما بين جمع الرجال.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} لقد كان كبيرًا مسنًّا ولكنه أبرم عقدًا لعشر سنوات قادمة. أن تكون مسنًّا أو مريضًا لا يعني أن تعيش دون طموح أو أمل.

د. عبد الله بلقاسم[١٩]

في قوله تعالى: {وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} وجوب قيام الرجل بالكسب ومؤونة أهله... وذلك لما جعله الله فيهم من خَصيصة وقِوَامة... فبنات صاحب مدين اعتذرن عن أبيهنّ؛ وذلك لأن السؤال قام في ذهن موسى وغيره، فأجبْن مع أنّه لم يسألهُنّ؛ لأن المقام ليس مقامَهنّ بل مقام وليِّهنّ.

باختصار: د.عبدالعزيز الطريفي[١٢]

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

فرحمهما فسقى لهما أغنامهما، ثم انصرف إلى الظل فاستراح فيه، ودعا ربه بالتعريض بحاجته، فقال: رب إني لما أنزلت إليّ من أي خير محتاجٌ.

من مَعين الآية

{رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} أي: إني مفتقر للخير الذي تسوقه إليَّ وتُيسره لي. وهذا سؤال منه بحاله، والسؤال بالحال أبلغ من السؤال بلسان المقال.

السعدي[٨]

لم يسأل عن ديانتهما أو تاريخهما، لم يستفصل عن عرقهما أو جنسيتهما؛ الصالحون خير على الحياة كلها.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

قدم موسى عليه السلام الخدمة لفتاتين فقط، ليس من شرط الأعمال الخالدة أن تكون نافعة للملايين، الخلود خدمة رائعة مخلصة لإنسان واحد.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

لم يمنع تعبُ المطاردة والرغبةُ في الاستراحة موسى عليه السلام من أن يُنقذَ امرأتين من موقف لا يرتضيه أصحابُ المروءة.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

ساعد أحد الضعفاء بتقديم يد العون له[١٥].

{ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} الأرض كلها محراب المؤمنين ومعراج دعواتهم.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

{ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ} لو ذهب يبحث عن رزق في المدينة لضيعته الفتاة، الأسباب تعمل بإذن الله فتوكل على الذي يجعلها تعمل ولا تُعلِّق قلبك بها.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

أخَّرَ الدعاء إلى الظل ليكون أعظم حضورًا لقلبه.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

لا تنتظر حتى السحر، هتف موسى عليه السلام في الظهيرة.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

كان قد بلغ به الجوع ما بلغ وإنَّه لأكرم الخلق يومئذ على الله، فعلَّق ابن عطية قائلًا: وفي هذا معتبر، وحاكم بهوان الدنيا على الله تعالى!

المحرر الوجيز[١٦]

أيها القلب الحزين: إياك أن تنسَ العليّ، كن مثل كليم الرحمن، خرج خائفًا، سافر ماشيًا، اخضر جوعًا، فنادى منكسرًا {رَبِّ} فحذف ياء النداء، {إِنِّي}؛ لتأكيد المسكنة، {لِمَا} لأي شيء، و{أَنزَلْتَ إِلَيَّ} بصيغة الماضي؛ لشدة يقينه بالإجابة فكأنها تحققت، {مِنْ خَيْرٍ فَقِير} فكان جزاء هذا الانكسار التام: أهلاً ومالًا، ونبوّةً وحفظًا.

د. عصام العويد[١٦]

{رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} إشارة إلى سبب عظيم من أسباب إجابة الدعاء، وهو إظهار الافتقار إلى الله، وإظهار المسكنة إليه -عز وجل-.

د.محمد الحمد[١٦]

ما أحسنَ الدعاء إذا قُدِّم بين يديه عملٌ صالح يكون كالشفيع لدى الشكور سبحانه!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

ينبغي تقديم الدعاء بذكر الربّ؛ لقوله: {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ} ... وهذا أكثر ما يُتقبّل به الدعاء؛ لأن بالربوبية يكون الخلق والتقدير للإنسان.

محمد العثيمين[١١]

حاجة الإنسان إلى ربه -تبارك وتعالى- وأنَّه في غاية ما يكون من الضرورة إلى الخير النازل إليه من الله.

محمد العثيمين[١١]

وجوب حسن الظنِّ بالله تعالى، وقوَّة الرجاء فيه عزَّ وجلَّ، والتوكُّل عليه.

الجزائري[١٣]

علوّ الله تعالى، لقوله: {لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ}؛ فإنَّه لا يكون إنزاله للشيء إلا إذا كان عاليًا، فهو -سبحانه وتعالى- عالٍ بذاته وصفاته.

محمد العثيمين[١١]

من شِيَم الكرام أنهم لا يوجِّهون طلبهم وحاجاتهم إلا إلى الله تعالى، حتى في وقت الحاجة الشديدة، فهم أفقرُ ما يكونون إليه، وهو الغنيُّ الكريم، الجواد الرحيم.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} فأوَّلُ ذلك إيتاء الحكمة والعلم، ومن الخير: إنجاؤه من القتل، وتربيته الكاملة في بَذْخَة الملك وعِزَّته، وحفظه من أن تتسرب إليه عقائد العائلة التي رُبي فيها؛ فكان مُنتفعًا بمنافعها، مُجَنَّبًا رذائلها وأضرارها. ومن الخير: أن جعل نصر قومه على يده، وأن أنجاه من القتل الثاني ظلمًا، وأن هداه إلى منجى من الأرض.

ابن عاشور[١٥]

لديك ضائقة مالية؟ قدِّم خدمة تطوعيَّة الآن[١٩].

﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

فلما ذهبتا أخبرتا أباهما به، فأرسل إحداهما إليه تدعوه، فجاءته تمشي في حياء، قالت: إن أبي يدعوك أن تأتيه قصد أن يجزيك أجرك على سقيك لنا، فلما جاء موسى أباهما، وأخبره بأخباره، قال له مُطَمئِنًا إياه: لا تخف نجوت من القوم الظالمين فرعون وملئه، فإنَّهم لا سلطان لهم على مَدْين، فلا يستطيعون أن يصلوا إليك بأذى.

من معين الآية:

فجاءته {تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ} وهذا يدلُّ على كرم عنصرها، وخلقها الحسن، فإنَّ الحياء من الأخلاق الفاضلة، وخصوصًا في النساء.

السعدي[٨]

فجاءته {تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ} يدلُّ على أنَّ موسى -عليه السلام- لم يكن فيما فعله من السقي بمنزلة الأجير والخادم الذي لا يُستحى منه عادة، وإنما هو عزيز النفس، رأت من حسن خلقه ومكارم أخلاقه، ما أوجب لها الحياء منه.

السعدي[٨]

فليطمئنَّ الشابُّ الشهم المخلص إلى جزاء معروفه، فقد تأتيه مكافأته إلى مكانه، كما أتت موسى إلى ظلِّه.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

الخلود والذكر الحسن، والثناء في آيات تدوي في المحاريب في كل القارات عبر القرون عن خطوات عفيفة مشتها امرأة.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

ما أجمله من وصف! فهي كأنها من شدة حيائها لم تمشِ على قدميها، بل (على حيائها)، الحياء في الكلمة والنظرة والحركة، بالنسبة للمرأة خصوصًا هو لحاؤها الذي لا تُزهر أغصان الورد بدونه.

د.عصام العويد[١٦]

لم يغفل القرآن الكريم كيفية مشية المرأة الحَيِيَّة، فكم فيها من دلالات على عفتها، وشخصيتها واستقامتها!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

الحياء قرين الإيمان، ورمز العفة، وتاج الجمال! فمن واجب الوالدين تربية الصغيرات عليه.

محمد الغرير[١٧]

قالت:{إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ}، ولم تقل: إننا ندعوك؛ لأنَّ هذا هو اللائق بالمؤمنة العفيفة حينما تتحدث مع الرجال الغرباء. أيضًا نسبة الدعوة إلى الأب أقرب إلى إجابة موسى للدعوة؛ حيث أنَّ الداعي له رجلًا.

د.عويض العطوي[١٦] محمد العثيمين[١١]

ما أسرع مكافأة الله لعبده حين يفرّج كربة غيره.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

المكافأة تسبب تآلف القلوب، ودفع المنن.

العز بن عبدالسلام، شجرة المعارف والأحوال[١٦]

موسى مضى معها مع أنَّه سقى لهم لوجه الله، بعض الكرام يسعدهم أن تمنحهم فرصة لشكر إحسانك.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

{إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} ينبغي للإنسان كمال الأدب في الخطاب، وإزالة الوحشة عن المُخاطَب؛ لا سيّما في المكان الذي تعتريه فيه الوحشة.

محمد العثيمين[١١]

كافئ شخصًا أحسن إليك؛ فإنَّ هذا من دأب الصالحين[١٥].

{فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ} من أدب الضيف الغريب أن يقصَّ على مُضيفه خبره أوَّل قدومه.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

قَصُّ الأخبار لا يعتبر شِكَاية، وإنما (إخبار) والفرق بينهما أن الشكوى تتضمن طلب إزالة الضر، والتضجُّر منه، وأمَّا الخبَر، فإنَّه مُجرَّد عن ذلك، فهو مُجرَّد إخبار عن أمر وقع.

محمد العثيمين[١١]

عمل قلبي

(الحياء)

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَإِنَّ خُلُقَ الإِسْلاَمِ الْحَيَاءُ»(*).

- **معنى الحياء:**

- لغةً: الحياء: الحشمة، ضد الوقاحة.

- شرعًا: قال ابن حجر: (الحَياء: خُلُق يبعث صاحبه على اجتناب القبيح، ويمنع مِن التقصير في حقِّ ذي الحقِّ).

- **أنواع الحياء:**

قال ابن رجب رحمه الله: (واعلم أنَّ الحياء نوعان:

- أحدهما: ما كان خَلْقًا وجِبِلَّةً غيرَ مكتسب ، وهو من أجلِّ الأخلاق التي يَمْنَحُها الله العبدَ ويَجبِلُه عليها.

- والثاني: ما كان مكتسبًا من معرفة اللهِ ، ومعرفة عظمته وقربه من عباده، واطلاعه عليهم ، وعلمِه بخائنة الأعين وما تُخفي الصدور، فهذا من أعلى خصالِ الإيمان، بل هو مِنْ أعلى درجات الإحسّان).

- **فوائد الحياء:**

- هجر المعصية خجلًا من الله سبحانه وتعالى.

- الإقبال على الطَّاعة بوازع الحبِّ لله عزَّ وجلَّ.

- يبعد عن فضائح الدُّنْيا والآخرة.

- يكسو المرء الوَقَار فلا يفعل ما يخلُّ بالمروءة والتوقير، ولا يؤذي مَن يستحقُّ الإكرام.

- لا يمنع مِن مواجهة أهل الباطل ومرتكبي السوء.

- مَن استحى مِن الله ستره الله في الدُّنْيا والآخرة.

- يُعدُّ صاحبه مِن المحبوبين عند الله وعند النَّاس.

- **مظاهر ذهاب الحياء:**

- المجاهرة بالذنوب والمعاصي وعدم الخوف من الله.

- إذاية الناس؛ في دينهم وفي طرقاتهم...

- الفُحْشُ في الكلام.

- العقوق.

- التبرج، وكشف العورات أمام الملأ.

- **كيف نحقق الحياء من الله تعالى:**

- تقوية الإيمان بالله تعالى، فكلما قوي إيمانك ازداد حياؤك.

- استشعار نِعَم الله تعالى الجليلة عليك يُولِّد حياءً من الله عظيمًا من أن تُبذلها فيما يُسخطه جلَّ وعلا.

- اتِّخاذ القدوة الصالحة فيمن حقَّق خُلق الحياء، ومصاحبة الخيِّرات الحيِيَّات من النساء.

- التفكُّر في أسماء الله تعالى التي من معانيها مراقبة الله تعالى للعبد، واطِّلاعه على أحواله، مثل اسم: الشهيد، والرقيب، والعليم، والبصير.

- مجاهدة النفس وإلزامها بترك كل ما يخالف الحياء، ومكارم الأخلاق: من الأقوال والأفعال، ومُعاندة الشيطان الذي يجر النفس إلى مثل هذه البذاءات، ويُزينها له.

- **أخيرًا:**

- قال ابن القيّم –رحمه الله-: (خُلق الحَيَاء مِن أفضل الأخلاق وأجلّها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاصَّة الإنسانيَّة، فمَن لا حياء فيه، فليس معه مِن الإنسانيَّة إلَّا اللَّحم والدَّم وصورتهما الظَّاهرة، كما أنَّه ليس معه مِن الخير شيء).

- وقال حاتم الأصم –رحمه الله-: (تعاهد نفسك في ثلاث: إذا عملتَ: فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمتَ: فاذكر سمع الله منك، وإذا سكتَّ: فاذكر علم الله فيك).

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الحياء، وأن يجعلنا من أهل الحياء، وأن يلبسنا ثوب الحياء، إنه سميع الدعاء.

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾

قالت إحدى ابنتيه: يا أبت استأجره ليرعى غنمنا، فهو جدير بأن تستأجره؛ لجمعه بين القوَّة والأمانة، فبالقوَّة يؤدي ما كُلِّف به، وبالأمانة يحفظ ما ائتُمِن عليه.

من معين الآية:

في قوله تعالى: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ} يُستفاد بيان أنَّ مشورة الإنسان على أبيه لا تعدُّ من التنقُّص له.

محمد العثيمين[١١]

تلطّف هذه المرأة في مخاطبة أبيها؛ لقولها: {يَا أَبَتِ}، ولهذا قالوا: لا ينبغي للإنسان أن ينادي والده باسمه، حتى إن بعضهم يقول: إذا نادى أباه باسمه يُعزَّر؛ لأنَّه نوع من الاحتقار له، وأمَّا الخبر عنه باسمه فلا بأس؛ مثل أن يقول: (قال فلان) فلا حرج.

محمد العثيمين[١١]

{إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ} هذان الوصفان، ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان عملًا بإجارة أو غيرها.

فإنَّ الخلل لا يكون إلا بفقدهما أو فقد إحداهما، وأمَّا باجتماعهما، فإنَّ العمل يتمّ ويكمل، فهما ركنا الولاية، {قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ} [النمل: ٣٩] فمن العدل ألاَّ يُولى أحد منصبًا إلا وهو أهل له في قوته وفي أمانته؛ فإن وليَ من ليس أهلًا مع وجود من هو خير منه فليس بعدل.

السعدي[٨] محمد العثيمين[١٦]

{إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ} وإنَّما قالت ذلك، لأنَّها شاهدت من قوَّة موسى عند السقي لهما ونشاطه، ما عرفت به قوَّته، وشاهدت من أمانته وديانته، وأنَّه رحمهما في حالة لا يُرجى نفعهما، وإنَّما قصده بذلك وجه الله تعالى(*).

رُويَ أنَّ أباها قال لها: من أين عرفتِ قوَّته وأمانته؟ قالت: أما قوَّته ففي رفعه الحجر عن فم البئر، وأمَّا أمانته فإنَّه لم ينظر إليّ(**).

(*)السعدي[٨]

(**)ابن جزي[١٥]

تأمل كم تكرر وصف القوَّة والأمانة في القرآن لسادات الخلق؛ جبريل، وموسى، ويوسف، وغيرهم! فلنربِّي أبنائنا على هذا المعنى الشريف، ونُذكِّرهم بشدَّة حاجة الأمَّة للطالب القويّ في علمه وتحصيله، الجادِّ في آداء عمله، وأنَّ التفوُّق الدراسي ليس مطلبًا اجتماعيًا بل هو -قبل ذلك- مطلبٌ شرعي، فالساحة ملأى بالكسالى!

د.عمر المقبل[١٦]

في قوله تعالى: {إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ} ليس المراد بذلك قوَّة البدن فحسب، بل القوَّة التي يتحصَّل بها معرفة الحق سواء كانت عقليَّة وهي العلم، أو كانت بدنيَّة وهي قدرة البدن على التصرف.

باختصار: د.عبدالعزيز الطريفي[١٢]

نِعمَ الفتاة التي تتأدَّب في حديثها مع الرجال كما تتأدَّب في الحديث عنهم، فهي تَكني وتورِّي، وتلمِّح ولا تصرِّح، فإنها لم تقل: إن موسى قويٌّ أمين!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

مهما كان الإنسان عاقلًا وحكيمًا، فقد تفلت منه الفرص؛ أصغِ لأصوات مُحبّيك لتقتنصها.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

قولها: {اسْتَأْجِرْهُ} فيه مشاورة البنت لأبيها وقبول رأيها، وفيه مشورة الأدنى للأعلى؛ لأنَّ الأمر هنا ليس للإلزام، ولكن للمشورة والعرض، فقد يكون الأدنى أعلى من الأعلى في بعض الأمور.

محمد العثيمين[١١] د.عبدالعزيز الطريفي[١٢]

يجوز كلام المرأة بحضرة الأجنبي ...، ولكن بشرط عدم الفتنة، فإن خُشيت الفتنة في الكلام فيجب الامتناع، فإن الامتناع خوف الفتنة -حتى عن المباح- من الأمور المعروفة.

محمد العثيمين[١١]

فيه جواز اتخاذ الخادم، وعمل الرفيع مع من هو دونه أو مثله في الفضل.

د.عبدالعزيز الطريفي[١٢]

تتضمن الآية إيجاب الكسب على الرجال؛ وإن الرجل إن عَجَزَ عن الكسب لبناته وقدر على استئجار من يكفيهنّ المؤونة، وجب عليه؛ ما لم يكن فقيرًا، أو لم يجد من يأتمنه على أهله فيُعذر.

د.عبدالعزيز الطريفي[١٢]

﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾

قال أبوهما مُخاطِبًا موسى عليه السلام: إني أريد أن أزوِّجُك إحدى ابنتَيَّ هاتين، على أن يكون مهرها أن ترعى غنمنا ثماني سنين، فإن أَكْمَلْتَ المدة عشر سنين فهذا تفضُّل منك لا يلزمك؛ لأنَّ التعاقد إنَّما هو على ثمان سنين، فما فوقها تطوُّع، وما أريد أن ألزمك ما فيه مشقَّة عليك، ستجدني -إن شاء الله- من الصالحين الذين يوفون بالعقود، ولا ينقضون العهود.

من معين الآية:

لما استأجره صاحب مدين مع ما رأى فيه من ديانة وأمانة، عرض عليه الزواج من إحدى بناته مقابل عمله معه ثماني سنين مهرًا لها؛ حتى لا يدوم بقاء غير محرم في البيت وليس فيه إلا نساء وأبوهنّ شيخ كبير... وهذا جريًا على الفطرة لا تغليبًا للتهمة؛ فإنَّ التزام الشرع في الحجاب، وغضِّ الطرف، وتحريم الخلوة، والاختلاط مع قرارٍ: عامٌّ لجميع المكلفين لا مقام فيه لتمييز الصالحين عن غيرهم.

د.عبدالعزيز الطريفي[١٢]

استحباب عرض البنات والأخوات على الأزواج الأكفاء؛ وذلك لا يعيب الرجل ولا ابنته.

د.عبدالعزيز الطريفي[١٢]

لا يملكُ الأب العقد على ابنته دون رضاها، ومن الممكن أن يكون والد المرأتين قد استأذن منهما قبل ذلك، أو أنه فَهِم منهما الرضا؛ لكون إحداهما عرضت عليه استئجار موسى عليه السلام، ووصفته بالقوة والأمانة.

محمد العثيمين[١١]

لا تستكثر على العفَّة غلاء المهور وأنت قادر، فإنَّ مهر موسى لبنت شيخ مَدْيَن كان عملَ عدَّة سنين!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

المهر: وهو الصَّداق ويُسمى في القرآن أجرًا، وهو فريضة في النكاح، والمهر حقٌّ للمرأة لا لوليِّها ولا لأهلها.

والزوجة لا تملك إسقاط جميع مهرها ولو كان بطيب نفس منها؛ ولكن لها أن تُسقِط منه؛ فالله شرعه لتُحفَظَ به الحقوق، وتُكرم به المرأة.

د.عبدالعزيز الطريفي[١٢]

جواز أن يكون المهر منفعة.

المختصر[١]

قد استدلَّ بعض الفقهاء بالآية على جواز استئجار الأجير على الطعام والكِسْوة؛ وذلك أنَّ موسى استُؤْجر على أن يكون رعيُهُ وخدمتُهُ مهرًا، ولازِمُ ذلك إطعامُه وإسكانُه ولباسُه.

د.عبدالعزيز الطريفي[١٢]

يجوز أن يُشتق المهر من الأب، وهذا في حقيقته عائد على البنت؛ لأنها حصلت لها فائدة، وهي أن تسلم من رعي الغنم، والتعب فيه.

محمد العثيمين[١١]

التخطيط طويل الأجل ليس من طول الأمل.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

كان يعيش في القصر، ولكنه لم يجد بأسا في رعي الغنم حين تغيرت الظروف، السعادة هي القدرة على البهجة مع تغيّر ظروفنا.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

في الحديث «ما مِن نبيٍّ إلَّا وقد رَعَى الغنَمَ» أخرجه البخاري (٣٤٠٦)، لا يحزنك واقعك، مهما بدا مؤلمًا، خلف أستار الغيب تنسج خيوط المجد، كن مع الله.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

{وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} من صفات المستأجر الصالح ألا يَشُقَّ على الأجَراء والعمَّال والموظَّفين، بل المسامحة والتسهيل والإعانة هو الخُلق السابغ لتعامله معهم.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

من أسباب نجاح العقود، النوايا الطيبة تجاه من نتعاقد معهم، أحبَّ الخير لزبائنك وعملائك.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

{سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} لا ينبغي للمرء أن يعزم على فعل الشيء إلا مقرونًا بالمشيئة، والله -سبحانه وتعالى- نهى نبيّه أن يعزم على فعل الشيء بدون قرنه بالمشيئة، قال تعالى: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ} [الكهف:٢٣-٢٤].

<u>والقرن بالمشيئة فيه فائدتان:</u>

- الأولى: تفويض المرء الأمر إلى الله، وهذا هو تحقيق التوكل.
- الثانية: تيسير الأمر له، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في قصة سليمان: «لو قالَ: إنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْ يَحْنَثْ، وَكانَ دَرَكًا لِحَاجَتِهِ» رواه مسلم (١٦٥٤).

محمد العثيمين[١١]

{سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} قصد بذلك تعريف خُلُقه لصاحبه، وليس هذا من تزكية النفس المنهي عنه؛ لأنَّ المنهي عنه ما قصد به قائله الفخر والتمدُّح، فأمَّا ما كان لغرض في الدين أو المعاملة؛ فذلك حاصل لداعٍ حَسَن.

ابن عاشور[١٥]

الصلاح في كل موضع بحَسَبه، ففي العبادة يكون الصلاح في الإخلاص والمتابعة، وترك المنهيَّات، وفعل المأمورات، والصلاح في المعاملة بالوفاء بما يقتضيه العقد.

محمد العثيمين[١١]

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾

قال موسى عليه السلام: ذلك الَّذي بيني وبينك على ما تعاقدنا عليه، فأي الأمدين عملت لك: ثمانِيَ سنوات، أو عشر سنوات، أكون قد وفيت بما علي، فلا تطالبني بزيادة، والله وكيل على ما تعاقدنا عليه، رقيب عليه.

من معين الآية

أراد موسى عليه السلام أن يتوثّق من صفقته الرابحة لنكاح الفتاة العفيفة، العفاف غالٍ حقًا.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

ما أحسنَ أن تكونَ عقود العمل واضحةَ الشروط، سالمةً من العدوان، بعيدةً عن الغموض، قائمةً على صدق الوفاء من جميع الأطراف!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

فضيلة موسى عليه السلام بإيجار نفسه على شبع بطنه وإحصان فرجه.

الجزائري[١٣]

{وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيل} يا مَن تُشهِدُ اللهَ تعالى على قولك، لقد وثَّقت عهدك بوِثاق غليظ، فاحذر من أن تنقضَ عهد الله وميثاقه.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

حياء المرأة المسلمة سبب كرامتها وعُلوّ شأنها.

المختصر[١]

(الوكيل) جلّ جلالُه

- **معنى اسم الله الوكيل جل جلاله في اللغة:**

قال ابن سيدة: "وكِلَ بالله وتوكل عليه واتكل: استسلم له، يقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان أي: الجأته إليه واعتمدت فيه عليه، ووكل فلان فلانًا: إذ استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزا عن القيام بأمر نفسه...".

- **معنى اسم الله الوكيل جل جلاله في حقِّه تعالى:**

قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: "المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته، الذي تولى أولياءه، فيسَّرَهم للُيسرى وجنَّبهم العُسرى وكفاهم".

- **المناسبات:**

مناسبة ذكر اسم الله الوكيل جل جلاله في الآية: لما كان هنا تعاقد للنكاح وأجرة موسى -عليه السلام- لشعيب؛ ناسب ذكر اسم الله الوكيل للإشهاد.

- **الهدايات:**

- العلم باسم الله الوكيل يوجِّه القلب للتوكل عليه سبحانه وحده في جلب المنافع ودفع المضار، وينفض القلب واليد عمَّن سِواه.

- الثقة بكافية الله تعالى، وتوليه لعباده الصالحين؛ يبثُّ الرجاء في النفوس المؤمنة ويُذهب عنها اليأس والخوف والإحباط.

- **الآثار السلوكية والعمليَّة:**

- رقيب وكيل على أحوالنا؛ فهلا استحييت منه سبحانه وأحسنت حالك ما استطعت.

- من وقر في قلبه اسم الله الوكيل؛ لابد وأن يظهر أثر ذلك على جوارحه.

- حقِّق توحيد الله، ترى عجائب قدرته في ولايته إيَّاك.

- **من ضوء الهدي النبوي في اسم الله الوكيل جل جلاله:**

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}» رواه البخاري (٤٥٦٣).

- **من التأمل في الآيات الكونية وربطها باسمه تعالى الوكيل:**

- نعم الوكيل؛ ومن شواهد ذلك نار لم تحرق إبراهيم -عليه السلام-.
- نعم الوكيل؛ من توَّكل عليه كفاه، ومن تعلَّق بتميمة ونحوها وُكِل إليها وخاب.
- "بسم الله، توكلت على الله"؛ تُنجِّي شياطين الكون عنك وتقيك شرهم.

خلَّد الله حياء ابنة الرجل الصالح إلى قيام السَّاعة، وفي هذا دليل على عِظَم هذه الصفة الحميدة، وقد حثَّت عليها الشريعة الإسلامية في كثير من الآيات والأحاديث، من ذلك:

٨. عن ابن عمرَ رضي الله عنهما، قال: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَجُلٍ وَهْوَ يُعَاتِبُ فِي الْحَيَاءِ يَقُولُ إِنَّكَ لَتَسْتَحْيِي حَتَّى كَأَنَّهُ يَقُولُ قَدْ أَضَرَّ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ»**.

رواه البخاري (٦١١٨).

٩. عن أبي مسعود عقبة بن عمرو رضي الله عنه، قال: قال النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»**.

رواه البخاري (٣٤٨٣).

١٠. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«الإيمان بضْعٌ وسبعون، أو بضْعٌ وسِتُّونَ، شعبة، فَأَفْضَلُها قَوْلُ: لا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَدْناها: إِمَاطَةُ الأذَى عنِ الطَّرِيقِ، والحياءُ شُعْبَةٌ مِن الإيمانِ»(*)**.

رواه مسلم (٣٥).

من السنن النبويَّة الجليلة، والخصال الحميدة، مُكافأة صانع المعروف، وقد كان هذا دأب الأنبياء والرسل وكرماء الأنفس، وقد حثَّ عليها الرسول صلى الله عليه وسلم في العديد من أقواله، وطبَّقها في الكثير من أفعاله:

١١. عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ اسْتَجَارَ بِاللَّهِ فَأَجِيرُوهُ، وَمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»**.

رواه النسائي (٢٥٦٧).

(*) قال الخطَّابي: معنى قوله: (والحَيَاء شعبة مِن الإيمان) أنَّ الحَيَاء يقطع صاحبه عن المعاصي ويحجزه عنها، فصار بذلك مِن الإيمان. و(إنَّما أفرد صلى الله عليه وسلم هذه الخصلة مِن خصال الإيمان في هذا الحديث، وخصَّها بالذِّكر دون غيرها مِن باقي شعب الإيمان؛ لأنَّ الحَيَاء كالدَّاعي إلى باقي الشُّعب، فإنَّ صاحب الحَيَاء يخاف فضيحة الدُّنْيا والآخرة فيأتمر وينزجر، فلمَّا كان الحَيَاء كالسَّبب لفعل باقي الشُّعب؛ خُصَّ بالذِّكر ولم يذكر غيره معه).

"...ليست بسَلْفَع خرَّاجة ولَّاجة..."

بعثة موسى وأخيه هارون
-عليهما السلام- وتأييدهما

المقطع الخامس

بعد أن أتمَّ موسى -عليه السلام- أوفى الأجلين، وأعدَّه الله للرسالة، عزم على العودة إلى أهله في مصر، فناداه ربه، وآتاه النبوة والرسالة(*)، قال تعالى:

﴿۞فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٢٩ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ٣١ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٣٢ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ٣٣ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ٣٥﴾.

(*) الزحيلي، التفسير المنير (٢٠/٩٥).

معاني الكلمات

آنَسَ	أبصر
جَذْوَةٍ	شعلة من النار
تَصْطَلُونَ	تستدفئون
شَاطِئِ	جانب
تَهْتَزُّ	تتحرك وتضطرب
جَانٌّ	حيَّةٌ خفيفةٌ في سرعة حركتها
مُدْبِرًا	هاربًا جاعلًا النار خلف ظهره
وَلَمْ يُعَقِّبْ	لم يلتفت
اسْلُكْ	أدخِل
جَيْبِكَ	فتحة قميصك
مِنْ غَيْرِ سُوءٍ	من غير برص، ولا مرض
مِنَ الرَّهْبِ	لتأمن من الخوف
فَذَانِكَ	هاتان
بُرْهَانَانِ	آيتان
رِدْءًا	عونًا
سَنَشُدُّ عَضُدَكَ	سنُقوّيك ونُعينُك
سُلْطَانًا	حُجَّة، أو تسلُّطًا وغَلَبة
فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا	فلا يصيبكما منهم سوء
بِآيَاتِنَا	بسبب آياتنا

تفسير الآيات

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾

فلما أكمل موسى أوفى الأجلين عشر سنين، وسار بأهله من مَدْين إلى مصر أبصر من جانب الطور نارًا، قال لأهله: اثبتوا، إنّي أبصرتُ نارًا، لعلّي آتيكم منها بخبر، أو آتيكم بشُعلة من النار توقدون بها نارًا؛ لعلكم تستدفئون من البرد.

من معين الآية:

أنفق موسى -عليه السلام- من عمره الشريف عشر سنين في مهرها، فلولا أن النِّكاح من أفضل الأشياء؛ لما ذهب كثير من زمان الأنبياء فيه!

ابن الجوزي[١٨]

قضى موسى الأجل مع طول مدَّته، ووفى بعهده على أكمل غاياته، وكافأ بالجميل مَن آواه وأحسن إليه.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

استدل بعض أهل العلم بقوله تعالى: {وسَارَ بِأَهْلِهِ} بأنَّ فيها دليلًا على أنَّ الرجل يذهب بأهله حيث شاء؛ لما له عليها من فضل القوامة وزيادة الدرجة، إلا أن يلتزم لها أمرًا فالمؤمنون عند شروطهم، «أَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا به ما اسْتَحْلَلْتُمْ به الفُرُوجَ» رواه البخاري (٢٧٢١).

القرطبي[١٦]

الأصل أن المرأة ظلُّ زوجها تتبعُه حيثما سار؛ فهو الذي يقودها؛ لما له عليها من القِوامة.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

قوله تعالى: {فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وسَارَ بِأَهْلِهِ}، هنا قاعدة مهمة: وهي إذا اشتغل الإنسان بشيء لا ينتقل إلى غيره حتى يتمّه، وكذلك كان السلف، كانوا يبدءون بحفظ القرآن، فلا ينتقلون إلى غيره حتى يختموه، وهكذا.

محمد العثيمين[١١]

{ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا} النفوس العظيمة تلتقط كل إشارات الفأل مهما بدت بعيدة وخافتة.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

اتخاذ الأسباب لا ينافي التوكل، بل هو من تمام التوكل، لكن المحظور أن يعتمد الإنسان على السبب ويظنُّ أنَّه هو الغاية، فالتوكل على الله مع الأخذ بالأسباب من تمام معرفة الإنسان لربه.

محمد العثيمين[١١]

لما رأى موسى النار نأى بأهله عن الحضور معه؛ وذلك لأن الغالب في الأسفار الرّجال، ولا يَصِحُّ منه الإتيانُ بأهلِهِ بينهُم... ويحتمل أنَّ موسى أراد مع إبعادها عن مواضع الرجال إبعادها عن مواضع الخوف، فلو رأوه وحده مع أهله، لسوَّل لهم الشيطان مكروهًا.

د.عبدالعزيز الطريفي[١٢]

ما كان أحرصَ موسى على سَتر أهله وحفظهم وراحتهم إذ آواهم وذهب بنفسه ليقضيَ حاجاتهم!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} يعني أنتم، كان في وسعه أن يصبر هو، لكن حملته الرحمة لأهله أن يذهب يلتمس لهم الدفء.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

أنَّ الله تعالى إذا أراد أمرًا هيّأ أسبابه، وأن الله لما أراد أن يُوحي إلى نبيه موسى في ذلك المكان، هيّأ له أسبابًا توصّله إلى النار التي رآها وقَصَدها.

محمد العثيمين[١١]

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

فلما جاء موسى النار التي أبصرها ناداه ربه سبحانه وتعالى: من جانب الوادي الأيمن في الموقع الَّذي باركه الله بتكليمه لموسى من الشجرة أن: **يا موسى** إني أنا الله رب المخلوقات كلها.

من معين الآية:

كلام الله سبحانه وتعالى طاهرٌ مبارك لا تليق به سوى الأمكنةِ الطاهرة المباركة.

هدايات القرآن الكريم(١٤)

{يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} فأخبر بألوهيته وربوبيته، ويلزم من ذلك، أن يأمره بعبادته، وتألّهه، كما صرح به في الآية الأخرى: {فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه: ١٤].

السعدي(٨)

أسمَعَ الله موسى بأنَّه سبحانه هو ربُّ العالمين، الذين هم تحت سلطانه وقهره، حتى يُثبِّت قلب موسى لتلقِّي الرسالة، وما سيلقى من آياتها.

هدايات القرآن الكريم(١٤)

أسماء حسنى

(اللّه، والرَّب) جلّ جلالُه

- **معنى اسم الله جل جلاله:**

- **في اللغة:** قال الراغب: "الله قيل: أصله إله فحذفت همزته، وأدخل عليها الألف واللام، فخُصَّ بالباري تعالى، ولتَخَصُّصِه به قال تعالى: {هَل تَعلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم: ٦٥].

- **في حقِّ الله تعالى:** هو الجامع لجميع معاني أسماء الله الحسنى، والمتضمن لسائر صفات الله تعالى، ولذلك يقول ابن القيم -رحمه الله-: "ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسماءُ الحُسنى﴾، وصفات الجلال والجمال أخص باسم (الله)".

- **معنى اسم الله الرب جل جلاله:**

- **في اللغة:** قال ابن الأثير: "يُطلق (الرب) في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أطلق على غيره أضيف، فيقال: رب كذا".

- **في حقِّه تعالى:** قال السعدي -رحمه الله-: "و (الرب) هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم. وأخص من هذا: تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم، وأخلاقهم. ولهذا أكثر دعائهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه التربية الخاصة".

واسم الرب من أعظم المادح التي مجَّد الله -عز وجل- نفسه بها، وأكثر الأسماء التي يُدعى بها.

- **المناسبات:**

- **مناسبة ذكر اسمي الله والرب جل جلاله في الآية:** أخبر تعالى بألوهيته وربوبيته، ويلزم من ذلك، أن يأمره بعبادته، وتألهه(*)، وتقديم إني أنا الله رب العالمين في الآية قبل إصدار الأمر بإلقاء العصا يدل على أن جميع الخلائق مسخرة له؛ ليُثبِّت قلب موسى -عليه السلام- من هَوْل تلقِّي الرسالة(**).

- **الهدايات:**

- هوِّن عليك ما تخشاه؛ فالتدبير كله بيدَيْه، ومصير الأمور كلها إليه.

- (الحمد لله رب العالمين) كيف لعبد يلهج بها صبح مساء ألا يطيب قلبه.

- استشعارك أن الذي يخاطبك بالقرآن هو الله رب العالمين؛ يُعينك على تدبُّره والعمل به.

- **الآثار السلوكية والعملية:**

- (الحمد لله ربِّ العالمين) قبل أن تطلب من الله حاجتك، أثني بها على الله بحضور قلب.

- كن عبدًا ربانيًّا مع الخلق، إن أقامك الله على شيء من مصالحهم فكن معهم رفيقًا صبورًا.

- حدِّث نفسك عن الله ربِّ العالمين؛ يُقوِّم سلوكك ويحسُن عملك.

- مما يعينك على اتِّباع الهدى التفكُّر بقول الملائكة لما يقضى الله تعالى بين الخلق بالحق يوم الدين: (الحمد لله رب العالمين).

- **من ضوء الهدي النبوي في اسمي الله والرب جل جلاله:**

- في دعاء الكرب، كان رسول الله ﷺ يقول: «لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ ورَبُّ الأَرْضِ، ورَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ» رواه البخاري (٦٣٤٦).

- وفي دعاء سيد الاستغفار، قال رسول الله ﷺ: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفارِ أنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي؛ فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أنْتَ» رواه البخاري (٦٣٠٣).

- **من التأمل في الآيات الكونية وربطها باسمي الله والرب جل جلاله:**

- مراحل خلق الإنسان تنمُّ عن تربية الله له، من بداية تكوينه نُطفة حتى يجعله الله شابًّا ثم شيخًا فكهلًا.

- كل ما حولك ينطق بـ (الله رب العالمين)؛ تأمل تفاصيل يديك الدقيقة، تنفسك، قوت الطير، تدرجات شروق الشمس وغروبها، الأجرام السماوية العظيمة...

- تفكَّر في التجاء كل نبي بالله ودعائه باسمه (الرب)؛ كيف سخَّر له ربه العالمين.

(*) السعدي.

(**) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١١٢/٢٠).

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾

وأن اطرح عصاك، فطرحها موسى امتثالًا لأمر ربّه، فلمَّا رآها تتحرك وتضطرب كأنَّها حيَّة في سرعتها ولَّى هاربًا خوفًا منها، ولم يرجع من هَرَبِهِ، فناداه ربه: **يا موسى** أقبل، ولا تخف منها؛ فإنَّك من الآمنين منها ومن غيرها ممَّا تخاف.

من معين الآية:

فيها دليل على قدرة الله -عز وجل- لأنه بمجرد أن ألقاها صارت {تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ}، بمجرد الإلقاء هذا دليل على القدرة.

محمد العثيمين[١١]

قوله تعالى: {أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ} أمر له بشيئين، إقباله، وأن لا يكون في قلبه خوف، ولكن يبقى احتمال، وهو أنه قد يقبل وهو غير خائف، ولكن لا تحصل له الوقاية والأمن من المكروه، فقال: {إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ} فحينئذ اندفع المحذور من جميع الوجوه، فأقبل موسى عليه السلام غير خائف ولا مرعوب، بل مطمئنا، واثقا بخبر ربه، قد ازداد إيمانه، وتم يقينه.

فهذه آية، أراه الله إياها قبل ذهابه إلى فرعون، ليكون على يقين تام، ليكون أجرأ له، وأقوى وأصلب.

السعدي[٨]

احتضن كل المخاوف والمخاطر حين يكون الله معك.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

ما أحسن عباراتِ التأمين التي تنزل على قلوب الخائفين! فتُذهب عنهم الفزع، وتسكن أفئدتهم من هول الرَّوع.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾

أدخِل يدك اليُمنى في فتحة قميصك ممَّا يلي الرقبة، تخرج بيضاء من غير بَرَص. فأدخلها موسى فخرجت بيضاء كالثلج. واضمم إليك يدك ليهدأ خوفك. فضمَّها موسى إليه فذهب عنه الخوف، فهذان المذكوران -العصا واليد- حجَّتان مرسلتان من ربِّك إلى فرعون والأشراف من قومه، إنَّهم كانوا قومًا خارجين عن طاعة الله بالكفر وارتكاب المعاصي.

من معين الآية:

الثقة بوعد الله تعالى لا تجعل الواثق يُعطِّل أسبابَ تحقُّق الوعد بما يستطيع فعله، فإنَّ الله وعد موسى بالأمان وأَمَرَه بوضع يده على صدره؛ ليُدخلَ الطَّمأنينة على قلبه، ويزيلَ خوفه.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

من خاف فوضع يده على صدره زال خوفه إن شاء الله تعالى.

التفسير الجزائري[١٣]

الداعية إلى الحقِّ يحتاج إلى براهينَ لإقناع المعاندين، وإقامة الحجَّة على المعرضين.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

لُطف الله تعالى بعباده، حيث يُرسل إليهم الرسل.

محمد العثيمين[١١]

الله تعالى يُعطي الأنبياء من الآيات ما يناسب الوقت وحال المُرسَل إليهم؛ لأنَّ هذا من الحكمة أن تأتي الآيات مُطابقة للواقع.

محمد العثيمين[١١]

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝٣٣ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾

قال موسى متوسلًا إلى ربّه: إنّي قتلتُ منهم نفسًا فأخاف أن يقتلوني به إن جئتهم لأبلغهم ما أُرسِلتُ به.

وأخي هارون هو أبين مني كلامًا فابعثه معي معينًا يوافقني في كلامي، إن كذبني فرعون وقومه، إنّي أخاف أن يكذبوني كما هي عادة الأمم التي بُعِثَتْ إليها الرسل من قبلي فكذبوهم.

من معين الآية:

الإنسان الذي تقلُّ أخطاؤه لا ينسى خطأه الماضي ولو مرَّت عليه السُّنون.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

لم يكن موسى ليعتذرَ من القيام بالرسالة، ولكنَّه قدَّم بين يدَي ربِّه ما يخشاه على نفسه وعلى دعوته؛ ليظفرَ بالعون والحفظ والتوفيق.
هدايات القرآن الكريم[١٤]

في قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ} بيان أنَّ القَصَاص كان معروفًا معمولًا به عند أقدم الأمم، وجاءت الحضارة الغربية فأنكرته، فتجرَّأ الناس على سفك الدماء وإزهاق الأرواح بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية، ولذلك صحَّ أن تُسمى الخسارة البشرية بدل الحضارة الغربية.
الجزائري[١٣]

{وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا}: فيه إشارة إلى أهمية العناية بالجانب البياني والإعلامي في باب دعوة الآخرين، مسلمين أو غيرهم، وأنَّه لا يكفي مجرَّد صدق الداعي، بل يحسن مع ذلك أن يهتمَّ بكل وسيلة تكون سببًا في إبلاغ دعوته، والتأثير بها.
د.عمر المقبل[١٦]

فضيلة موسى -عليه السلام- لإقراره بالفضل لأخيه {هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فأرسله}؛ لأنَّ من الناس من يكون ناقصًا، ولكن لا يستطيع أن يعبِّر بالكمال لغيره، والنقص لنفسه.
محمد العثيمين[١١]

اتخاذ الأعوان من أسباب النجاة، فكلما كان مع الإنسان من يُعينه وُيساعده، كان ذلك أقرب إلى نجاحه من انفراده.
محمد العثيمين[١١]

{فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ} الخبر يزداد ثبوتًا بتعدُّد مُخبريه.
محمد العثيمين[١١]

{إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ} يخشى نبيُّ الله على قومه من تكذيبه؛ فيطلب الأسبابَ التي تدعوهم إلى تصديقه؛ خوفًا عليهم من عقاب الله، وهذا من نُصحه لهم ورحمته بهم.
هدايات القرآن الكريم[١٤]

اشكُ همَّك وخوفك إلى الله تعالى وحده، متأسيًا بنبيِّ الله موسى في شكواه إلى ربِّه[١٥]).

ساعد أحد الدعاة في أمرٍ يحتاجه[١٥].

استعن بمن يعينك على القيام بدعوتك ممن يملك المواصفات المناسبة[١٥].

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾

قال الله مجيبًا دعوة موسى: سنقوّيك -**يا موسى**- ببعث أخيك معك رسولًا معينًا، ونجعل لكما حجةً وتأييدًا، فلا يصلون إليكما بسوء تكرهانه، بسبب آياتنا التي أرسلناكم بها أنتما ومن اتبعكما من المؤمنين المنتصرين.

من معين الآية:

أعطى الله موسى أكثر مما سأل؛ لأنه قال: {رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ}، فأعطاه الله أكثر من ذلك؛ بأن يقويَه أيضًا؛ ... لأن التقوية أبلغ، ولهذا قال: {سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ}.

محمد العثيمين[١١]

إخوانك هم عُدَّتُك للمُهمَّات، وعونك بعد الله في تجاوز الكريهات، فاستكثر من الصادقين منهم ولا تفرِّط فيهم.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

قال بعض السلف: ليس أحدٌ أعظم منَّة على أخيه من موسى على هارون عليهما السلام؛ فإنَّه شفع فيه حتى جعله الله نبيًا ورسولًا معه إلى فرعون وملئه.

ابن كثير[١٥]

في معركة الحقّ والباطل لا يكون الانتصارُ لكثرة العدد والعُدَّة، بل قد يكون بقوَّة البرهان والحجَّة التي تُبدِّد جموعَ الباطل شذَرّ مذَر.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

بَوْنٌ شاسع بين استعلاء فرعون وجبروته وطغيانه، وضعف قوم موسى وذلتهم وقلة حيلتهم، وبرغم ذلك قال الله عز وجل لموسى وهارون ومن معهما {بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ} وهذه هي حقيقة الانتصار.

أ.د.ناصر العمر[١٦]

قوله: {وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا} فيه دليل على أنَّ الإنسان يُنْصَر ويَغلِب باتباع الرسل، وأنَّه لا طريق إلى النصر والغَلَبَة إلا بذلك. وعليه فتكون هذه قاعدة: (كل من كان للرسول أتبع كان إلى النصر أقرب، وكل من كان من اتباع الرسول أبعد كان عن النصر أبعد).

محمد العثيمين[١١]

تكليم الله لموسى عليه السلام ثابت على الحقيقة.

المختصر[١]

اصطفاء وتكليف

بدء الدعوة، وتكذيب
فرعون وجنوده لها، ونزول
العقاب بهم

المقطع السادس

بعد تكليف موسى وهارون -عليهما السلام- بالرسالة، انطلقا إلى فرعون وملئه بالآيات التي أظهرها الله تعالى على يد موسى، فكذَّبوا واستكبروا، فكان عاقبتهم كعاقبة كل ظالم(*)، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

(*) التفسير الموضوعي (٥/٥٤٥).

معاني الكلمات

مُفْتَرًى	مُختلق، تنسُبُه إلى الله كذبًا.
عَاقِبَةُ الدَّارِ	النهاية المحمودة في الآخرة.
صَرْحًا	بناءً عاليًا.
فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ	فألقيناهم وأغرقناهم في البحر.
أَئِمَّةً	قادة إلى النار.
وَأَتْبَعْنَاهُمْ	ألحقناهم.
لَعْنَةً	طردًا وإبعادًا من الرحمة.
الْمَقْبُوحِينَ	المُبْعَدين المستقذرة أفعالهم.
الْقُرُونَ الْأُولَى	الأُمم الماضية المُكذِّبة.
بَصَائِرَ لِلنَّاسِ	نورًا لقلوبهم يُبصِرون به الحقائق.

تفسير الآيات

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾

فلما جاءهم موسى -عليه السلام- بآياتنا واضحات قالوا: ما هذا إلا كذب مُختلق اختلقه موسى، وما سمعنا بهذا في آبائنا الأقدمين.

من معين الآية:

من غير بيّنة ولا تثبُّت واجه فرعونُ وملؤه آيات الله البيّنة بتهمة السِّحر المفترى! وهكذا كلُّ مبطل جبَّار يدفع الحقَّ بالتُّهَم الباطلة والطعون الكاذبة.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

لا ينبغي للمسلم أن يُثنيَه عن قول الحق رده، أو وصفُه هو بالعيوب؛ فموسى لم يتوقف عن الدعوة حينما قالوا له هذا، بل استمر، وبه قامت الحجة.

محمد العثيمين[١١]

{وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا} أي: الذي تقوله من الرسالة عن الله. {فِي آبَائِنَا}: وأشاروا إلى البدعة التي قد أضلت أكثر الخلق؛ وهي تحكيم العوائد والتقليد الأعمى؛ حتى قدَّموا ذلك على الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة.

وقد كذبوا في قولهم: {وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا} فإنَّ الله أرسل يوسف -عليه السلام- قبل موسى، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ} [غافر: ٣٤].

البقاعي[١٥] السعدي[٨]

رَدُّ الحقِّ بالشُّبَهِ الواهية شأنُ أهلِ الطغيان.

المختصر[١]

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

وقال موسى مُخاطبًا فرعون: ربي يعلم المحق الَّذي جاء بالرشاد من عنده سبحانه، ويعلم من تكون له العاقبة المحمودة في الآخرة، إنه لا يفوز الظالمون بمطلوبهم، ولا ينجون من مرهوبهم.

من معين الآية:

{مِنْ عِنْدِهِ} فيها دليل على أنَّ الهدى من عند الله -سبحانه وتعالى- فهو الذي يأتي بما يَحسُن الاهتداء به، ويوفِّق من شاء من عباده له، فالهدى من عنده تعالى، وما خالفه فهو ضلال.

محمد العثيمين[١١]

جواب الأنبياء عن افتراء المعاندين الجهلاء مملوءٌ بالأدب الجمّ، ونصاعة البرهان وحسن البيان، والثقة بالله والطُّمَأنينة إلى العاقبة الحسنة للحقِّ وأهله.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

ما من امرئ إلا وهو يرجو حسن العاقبة، ولكن لا يبلغها إلا مَن عمل لها على النحو الذي يرضي مولاه جلَّ جلاله.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

من أعظم ما يُطَمئن المؤمنين ويُثبتهم على الحق في مواجهة الكافرين أنَّ الله كتب الفلاح لهم، ونفى الفلاح عن أعدائهم الظالمين.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾

وقال فرعون مخاطبًا الأشراف من قومه: يا أيها الملأ ما علمتُ لكم من معبود غيري، فأشعل لي يا هامان على الطين حتَّى يشتدَّ، فابنِ لي به بناءً عاليًا؛ رجاء أن أنظر إلى معبود موسى وأقف عليه، وإنّي لأظنّ أنَّ موسى كاذب فيما يدَّعيه أنَّه مرسلٌ من الله إليّ وإلى قومي.

من معين الآية:

انظر إلى هذا الورع التام من فرعون؛ حيث لم يقل " ما لكم من إله غيري" بل تورعَّ وقال: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} وهذا، لأنَّه عندهم، العالم الفاضل، الذي مهما قال فهو الحقّ، ومهما أمر أطاعوه.

فلمَّا قال هذه المقالة، التي قد تحتمل أن ثَمَّ إلهًا غيره، أراد أن يحقِّق النفي، الذي جعل فيه ذلك الاحتمال، فقال لهامان: {فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيَ أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ}.

السعدي[٨]

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾

واشتدَّ تكبُّر فرعون هو وجنوده، واستعلوا في أرض مصر بغير موجب من الحق، وأنكروا البعث، وظنُّوا أنَّهم إلينا لا يرجعون يوم القيامة للحساب والعقاب.

من معين الآية:

يجب على المسلم الرّضوخ للحق، سواء وافق هواه أو خالفه.

محمد العثيمين[١١]

تكبَّر فرعون فتكبَّر لكِبْره جنودُه، ولو تواضع لتواضعوا، وهكذا كلُّ رأس في الناس يقتدي به أتباعه.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

التكبُّر مانع من اتِّباع الحق.

المختصر[١]

قل لِمَن يتكبَّر: انظر إلى موقعك على الأرض، أترى فيه ما يدعوك إلى التفاخر والتعاظم والتكبُّر؟

هدايات القرآن الكريم[١٤]

استعِذ بالله من الاستكبار عن الحق[١٥].

{وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ} إنَّما يتمادى في الاستكبار مَن لا يحسب للآخرة حسابًا، فأمَّا مَن يثق بأنَّ هنالك يومًا سيُعرض فيه على الله تعالى فإنَّه لا يستطيل على عباده.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

فأخذناه وأخذنا جنوده فطرحناهم في البحر غرق حتَّى هلكوا جميعًا، فتأمّل -أيها الرسول- كيف كان مآل الظالمين ونهايتهم، فقد كان مآلهم ونهايتهم الهلاك.

من معين الآية:

في اليمِّ أنجى الله تعالى طفلًا رضيعًا، وفيه أغرق جيشًا عَرَمرمًا، فمَن جعله ملاذًا وأمانًا هو الذي جعله مخافةً ومهلكة.

هدايات القرآن الكريم(١٤)

الذنوب سبب للعقوبة.

محمد العثيمين(١١)

{فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ} كانت شر العواقب وأخسرها، عاقبة أعقبتها العقوبة الدنيوية المستمرة، المتصلة بالعقوبة الأخروية.

السعدي(٨)

حكمة الله سبحانه وتعالى؛ حيث كان إهلاك فرعون وقومه بالماء الذي كان يفتخر به لقوله: {يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الزخرف:٥١] فإن هذا الذي كان يفتخر به كان محل إهلاكه.

محمد العثيمين(١١)

{فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عاقِبَةُ الظَّالِمِينَ} تحثنا الآية على التأمُّل في عاقبة الظالمين، والاتعاظ بها، فلا نظلم مثلهم؛ لأنه ما دام عاقبة الظالم الهلاك؛ فإنَّ الإنسان يخشى أن يهلك إذا ظلم.

محمد العثيمين(١١)

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾

وجعلناهم قدوة للطغاة والضُّلَّال يدعون إلى النار بما يبثونه من كفر وضلال، ويوم القيامة لا ينصرون بإنقاذهم من العذاب، بل يضاعف عليهم العذاب لما سنّوه من سنن سيئة، ودعوا إليه من ضلالة، يكتب عليهم وزر عملهم بها، ووزر عمل من اتبعهم في العمل بها.

من معين الآية:

الإمامة قد تكون في الشر، كما تكون في الخير؛ لأنَّ معناها أنْ يصير المرء قدوة يُؤْتَمُّ به فيما يقول ويفعل.

التفسير الموضوعي[٢]

الله -سبحانه وتعالى- قادر على أن يجعل الناس على الهدى، لكنه -سبحانه وتعالى- له الحكمة في أن يُوجد مثل هؤلاء القوم الذين يَدعون إلى النار، وأن يكونوا بلاء وفتنة لغيرهم.

محمد العثيمين[١١]

يا شقاء مَن صار إمامًا في الشر وقائدًا في طريق الجحيم، فيقتدي ناس به في ضلاله فيحمل وزره ووزر مَن تبعه إلى يوم القيامة!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

حذِّر أحدًا من الذين يُقتدى بهم في الشر أنَّ عليه وزره ووزر من اقتدى به[١٥].

سلِ الله تعالى أن تكون إمامًا في الخير، واستعِذ به أن تكون إمامًا في الشر[١٥].

سُمِّيَ يوم القيامة؛ لأمور ثلاثة:

- الأول: أنَّه يقوم الناس فيه من قبورهم لربِ العالمين.
- الثاني: أنه يُقام فيه العدل؛ كما قال تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [الأنبياء:٤٧].
- الثالث: أنه يقوم فيه الأشهاد؛ كما قال تعالى: {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} [غافر:٥١]. **(للفائدة)**

محمد العثيمين[١١]

لا يظنَّ أئمة الضلال أنَّهم سيجدون نُصراء في دار المآل كما عهدوا ذلك في الدنيا، فقد ذهبت عنهم النصرة والنجدة بورودهم الآخرة، فهل من توبة منهم قبل هذا المصير؟

هدايات القرآن الكريم[١٤]

﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾

وأتبعناهم زيادة على عقوبتهم في هذه الدنيا خزيًا وطردًا، ويوم القيامة هم من المذمومين المُبْعَدين عن رحمة الله.

من معين الآية:

{وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً} ولهم عند الخلق الثناء القبيح والمقت والذم، وهذا أمر مشاهد، فهم أئمة الملعونين في الدنيا ومقدمتهم.

السعدي[٨]

قوله تعالى: {فِي هَذِهِ الدُّنْيَا} تفيد تحقير الدنيا، فالدنيا مؤنث أدنى، وهي من الدنو الحسي والمعنوي؛ أمَّا الدنوّ الحسي فلِسَبْقها على الآخرة، وأمَّا الدنوّ المعنوي فلِما تتضمَّنه من النقص في جميع كمالاتها، فما من كمال في الدنيا إلا وهو ناقص، والآن لو تأملت جميع المضار والمنافع الدنيوية، تجدها مشوبة بالضرر والخطر.

محمد العثيمين[١١]

مَن سلك إلى الرفعة طريقَ الكِبْر والإضلال، وصل إلى عاقبة الهوان والإذلال، والطرد والإبعاد، فما أسوأه من مصير!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾

ولقد أعطينا موسى التوراة من بعد ما أرسلنا إلى الأمم السابقة رسلنا فكذبوهم، فأهلكناهم بسبب تكذيبهم لهم، فيها ما يُبَصِّر الناس بما ينفعهم فيعملون به، وما يضرهم فيتركونه، وفيها إرشادهم إلى الخير، ورحمة لما فيها من خيري الدنيا والآخرة لعلهم يتذكرون نِعَم الله عليهم فيشكرونه ويؤمنون به.

من معين الآية:

كانت سنة الله سبحانه وتعالى قبل إنزال التوراة إذا كُذِّب نبيٌّ من الأنبياء ينتقم الله من أعدائه بعذاب من عنده؛ كما أهلك قوم نوح بالغرق، وقوم هود بالريح الصرصر،

وقوم صالح بالصيحة، وقوم شعيب بالظلة، وقوم لوط بالحاصب، وقوم فرعون بالغرق(*).

وبعد نزول التوراة، انقطع الهلاك العام، وشُرع جهاد الكفار بالسيف(**).

(*) ابن تيمية[١٥]
(**) السعدي[٨]

سوء نهاية المتكبرين من سنن رب العالمين.

المختصر[١]

إهلاك القرون واندراسُ الأمم يطمِس معالمَ الشرائع، فما أحوجَ الناسَ بعد ذلك إلى كتاب منير وداعٍ بصير!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

إنَّ من رحمة الله بعباده أن أنزل على رسُله كتبه ليبلِّغوها لهم حتى يتذكروا ويتَّعظوا بما فيها فيَسلَموا من غضب الله وعذابه، فما أحرى هذه النعمة بالشكر!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} مَن رام التذكر والاعتبار فليُقبل على تدبر كلام الله، ولئن كان كتاب موسى بتلك المثابة، فالقرآن أجل وأبلغ في ذلك المقصود.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

شتَّان بين إمامَيْن!

إثبات نُبوَّة محمد ﷺ من خلال
قصَّة موسى، وتكذيب المشركين
له وللقرآن والردّ عليهم، وموقف
الصادقين من أهل الكتاب

المقطع السابع

هنا يتواصل التأييد والكرم الإلهي لأتباعه؛ يُؤتي موسى –عليه السلام- التوراة فيها هدى ونور، ويُؤتي محمد ﷺ القرآن، ويُقيم الدلائل على صدق النبي ﷺ فيما جاء به عن ربه(*)، قال تعالى:

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

(*) التفسير الموضوعي (٥/٥٥٦).

معاني الكلمات

ٱلْغَرْبِيِّ	الجبل الغربي من موسى عليه السلام
قَضَيْنَآ	عَهِدنا
أَنشَأْنَا	خلقنا
قُرُونًا	أُممًا
فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ	فمكثوا زمنًا طويلًا
ثَاوِيًا	مقيمًا
أَهْلِ مَدْيَنَ	هم قوم شعيب عليه السلام
ٱلطُّورِ	جبل بسيناء كلَّم الله موسى -عليه السلام- بجانبه
تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ	ينزل بهم عذاب
سِحْرَانِ تَظَاهَرَا	تَعَاوَنا، يقصدون التوراة والقرآن
وَصَّلْنَا	فصَّلنا وبيَّنَّا
مَّرَّتَيْنِ	لإيمانهم بكتابهم وبالقرآن
وَيَدْرَءُونَ	يدفعون
ٱللَّغْوَ	الباطل
أَعْرَضُواْ عَنْهُ	لم يُصغوا إليه
سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ	لا تسمعون منَّا إلَّا الخير؛ قد سلمتم منَّا
لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ	لا نريد طريقة الغافلين عن الحَلَمَةِ والحِلْم

تفسير الآيات

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾

وما كنت -أيها الرسول- حاضرًا بجانب الجبل الغربيّ بالنسبة لموسى -عليه السلام- حين أنهينا إلى موسى الأمر بإرساله إلى فرعون وملئِه، وما كنت من الحاضرين حتَّى تعلم خبر ذلك فتقصّه على الناس، فما تخبرهم به هو من وحي الله إليك.

من معين الآية:

لا يشهد الإنسان إلا بما علم عن طريق السماع؛ لقوله: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ}، أو عن طريق الرؤية؛ لقوله: {وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ}؛ أو بغيرهما من طرق وأسباب العلم.

محمد العثيمين[١١]

﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾

ولكنا أنشأنا أممًا وخلائق من بعد موسى، فتباعد عليهم الزمن حتَّى نسوا عهود الله، وما كنت مقيمًا في أهل مَدْين تقرأ عليهم آياتنا، ولكنا أرسلناك من عندنا، فأوحينا إليك خبر موسى وإقامته في مَدْين، فأخبرت الناس بما أوحى الله إليك من ذلك.

من معين الآية:

ما كان أشدَّ الحاجة إلى بعثة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، حينما تطاول على الناس قبل زمانه العمر، وتمادى عليهم الأمد، فتغيَّرت الشرائع والأحكام، ونُسي الحلال والحرام!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} الفائدة من ذكر أخبار المتقدمين للرسول صلى الله عليه وسلم ليتلوها علينا هي التقرير بأنه نبي؛ لأنَّه ما كان يتلو من قبله من كتاب، ولا يخطه بيمينه، إذن يكون ما أخبر به عمن سبق من باب الوحي المجرد.

محمد العثيمين[١١]

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

وما كنت بجانب الطور إذ نادينا موسى وأوحينا إليه ما أوحينا حتَّى تخبر بذلك، ولكن أرسلناك رحمة من ربك للناس، فأوحينا إليك خبر ذلك لتنذر قومًا ما جاء رسول من قبلك ينذرهم لعلهم يتعظون، فيؤمنون بما جئتهم به من عند الله سبحانه.

من معين الآية:

من نعمة الله على العبد أن يُلهمه الهدى ليهدي الناس به؛ فإنَّ هذا في الحقيقة من أكبر النعم، فالنبي عليه الصلاة والسلام أُوحيَ إليه ليرحم الخلق بما أُوحيَ إليه، وهذا من مقتضى الربوبية الخاصة، ولهذا قال: {مِنْ رَبِّكَ} ولم يقل: من ربهم.

محمد العثيمين[١١]

نزول الآيات بالإخبار عمَّن سبق مظهرٌ من مظاهر رحمة الله بهذه الأُمّة؛ لتسلكَ طريق الرشاد الموصل إلى النجاة، وتحيدَ عن طريق التكذيب الذي يُهلك سالكه، كما أهلك مَن قبله.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

لقد كانت قريشٌ والعرب أحوجَ الناس إلى الرسالة؛ إذ لم يسبق لهم تشريع، وكان نظامهم مُختلًّا غير مَشوب بشريعة معصومة.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} لعلهم يتذكرون تفصيل الخير فيفعلونه، والشر فيتركونه، فإذا كان صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة، كان الواجب عليهم، المبادرة إلى الإيمان به، وشكر هذه النعمة، التي لا يُقادر قدرها، ولا يُدرك شكرها.

السعدي[٨]

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

ولولا أن تنالهم عقوبة إلهية بسبب ما هم عليه من الكفر والمعاصي، فيقولوا محتجِّين بعدم إرسال رسول إليهم: هلَّا بعثت إلينا رسولًا فنتَّبع آياتك ونعمل بها، ونكون

من المؤمنين العاملين بأمر ربّهم، لولا ذلك لعاجلناهم بالعقاب، لكنَّا أخرَّناه عنهم حتَّى نعذر إليهم ببعث رسول إليهم.

من معين الآية:

{بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} ويُعبَّر عن كل الأعمال -وإن لم تصدر عن الأيدي- باجتراح الأيدي، لأنَّ أكثر الأعمال تُزاول بها.

الألوسي[١٥]

اقتضَت رحمة الله وحكمته ألا يدَعَ قومًا على غفلتهم من غير نذير يذكّرهم بما ينفعهم وما يضرُّهم، فالحمد لله على رحمته وحكمته.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

المعاصي بعد العلم والبلاغ طريقٌ إلى العذاب، ولا يُنجِّي منه إلا التوبة والعودة إلى الغفور التوَّاب.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

العقل مهما بلغ من الحكمة لا يُغني عن إرسال الرسل في الوصول إلى الهداية، وتجنُّب الضلالة والغَواية.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾

فلما جاء قريشًا محمد بالرسالة من ربّه، سألوا يهود عنه فلقَّنوهم هذه الحجة فقالوا: هلَّا أُعطي محمد مثل ما أُعطي موسى من الآيات الدالَّة على أنَّه رسول من ربّه؛ كاليد والعصا، قل -أيها الرسول- ردًّا عليهم: ألم يكفر اليهود بما أُعطي موسى من قبل، وقالوا في التوراة والقرآن: إنهما سِحران يعضد أحدهما الآخر، وقالوا: إنَّا بكلٍّ من التوراة والقرآن كافرون؟!

من معين الآية:

ما أعظمها من نعمة أن يجيء الحقُّ إلى الإنسان في أرضه، ولا يخرج هو منها للبحث عنه واقتباس نوره! غير أنَّ مَن كره الهدى لا يدرك قدرَ هذه النعمة.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

ينبغي في مقام المناظرة والمجادلة أن يُفحم الخصم بإبطال قوله بقوله، أو بفعله، أي: يُبطَل قوله بما جرى منه هو؛ لأنَّ ما جرى منه لا يُمكن أن يُنكره، ولو أنكره ما قُبل، فكوننا نُقيم الحجَّة على الخصم من فعله وقوله هذا أبلغ في إفحامه.

محمد العثيمين[١١]

شأن مَن لا يريد الحقَّ أن يتعلَّق بحُجَّة لردّه، فإذا زالتْ؛ تَعَلَّقَ بغيرها ليستمرَّ في ضلاله وصدِّه.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ} فثبت بهذا أنَّ القوم يريدون إبطال الحقِّ بما ليس ببرهان، وينقضونه بما لا ينقض، ويقولون الأقوال المتناقضة المختلفة، وهذا شأن كل كافر. ولهذا صرَّح أنَّهم كفروا بالكتابين والرسولين.

السعدي[٨]

ما خالف ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فهو باطل لقوله تعالى: {فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ} [يونس:٣٢]، فكل خبر يتضمَّن تكذيب خبر الله ورسوله فهو الكذب، فمثلًا: إذا قال قائل: أصل الإنسان قرد، ثم تطوَّر فصار إنسانًا! نقول له: هذا كذب، لأنه يخالف ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

محمد العثيمين[١١]

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

لكن هل كفرهم بهما كان طلبًا للحق، واتباعًا لأمر عندهم خير منهما، أم مجرَّدُ هوى؟! قال تعالى مُلزِمًا لهم بذلك(*): قل -**أيها الرسول**- لهؤلاء: جيئوا بكتاب منزَّل من عند الله أهدى سبيلًا من التوراة والقرآن، فإن أتيتم به أتَّبعه إن كنتم صادقين فيما تدَّعونه من أنَّ التوراة والقرآن سحران.

(*) السعدي، تفسير الكريم المنان (١٢٨٤).

من معين الآية:

ولا سبيل لهم ولا لغيرهم أن يأتوا بمثلهما، فإنَّه ما طَرق العالم منذ خَلَقَه الله، مثل هذين الكتابين، علمًا وهدًى، وبيانًا، ورحمةً للخلق، وهذا من كمال الإنصاف من الداعي أن قال: أنا مقصودي الحق والهدى والرشد، وقد جئتكم بهذا الكتاب المشتمل على ذلك، الموافق لكتاب موسى، فيجب علينا جميعًا الإذعان لهما واتِّباعهما، من حيث كونهما هدًى وحقًّا، فإن جئتموني بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتَّبعته، وإلا فلا أترك هدًى وحقًّا قد علمته لغير هدى وحق.

السعدي[٨]

من العدل التنزُّل مع الخصم إلى حال يقرُّ بها؛ فإنَّه من المعلوم أنَّ الله سبحانه وتعالى يعلم أنَّه لا يمكن أن يأتوا بما طُلب منهم، ولكن هذا من باب التنزُّل مع الخصم إلى غاية ما يكون من العدل.

محمد العثيمين[١١]

مَن أنزل التوراة وبيَّن فيها الأحكام هو مَن يأمر بتّباع القرآن الكريم؛ ذلك أنه ليس في كتب الله تعالى كتابٌ أهدى منه.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

لن تستطيع البشرية كلها ولو اجتمعت أن تأتيَ بتشريع هو أهدى من تشريعات الله تعالى وأحكم منها.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

فإن لم تستجب قريش لما دعوتهم إليه من الإتيان بكتاب أهدى من التوراة والقرآن فأيقن أنَّ تكذيبهم بهما ليس عن دليل، وإنَّما هو عن اتِّباع للهوى، ولا أحد أضلَّ ممن اتَّبع هواه بغير هدى من الله سبحانه، إنَّ الله لا يُوفِّق للهداية والرشاد القوم الظالمين لأنفسهم بكفرهم بالله.

من معين الآية:

في قوله: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ} دليل على أن كل من لم يستجب للرسول ﷺ، وذهب إلى قول مخالف لقول الرسول ﷺ، فإنه لم يذهب إلى هدى، وإنما ذهب إلى هوى.

السعدي[٨]

إنَّ اتِّباع الهوى هو أقصر طريق إلى الضلال، وإنَّ من صفات المؤمنين مخالفة هوى النفس {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى} [النازعات:٤٠].

التفسير الموضوعي[٢]

إن لم تَنْقَد للهُدى، قَادك الهوى.

د.عمر المقبل[١٦]

من تحرَّى العدل فإنَّه يُوفَّق للهداية، فالعدل سبب للهداية، وهكذا كل من تحرَّى الخير.

محمد العثيمين[١١]

ما أشأم الظلمَ في منع الهداية عن صاحبه!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

حدد عملًا ترى أنَّك قدَّمت هوى نفسك فيه على شرع الله، ثم استغفر الله، وقدِّم شرعه على هوى نفسك[١٥].

استعِذ بالله من اتباع الهوى، ومن الضلالة بعد الهدى[١٥].

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

ولقد وصَّلنا للمشركين واليهود من بني إسرائيل القول بقصص الأمم السابقة، وما أحللنا عليهم من العذاب لمَّا كذَّبوا رسلنا؛ رجاء أن يتَّعِظوا بذلك فيؤمنوا حتَّى لا يصيبهم ما أصابهم.

{وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ} أي: تابعناه وواصلناه، وأنزلناه شيئا فشيئا، رحمة بهم ولطفا {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} حين تتكرر عليهم آياته، وتنزل عليهم بيناته وقت الحاجة إليها. فصار نزوله متفرقا رحمة بهم، فلمَ اعترضوا على ما هو من مصالحهم؟

من معين الآية:

بيان نعمة الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة؛ بإيصال القول إليهم.

محمد العثيمين[١١]

{وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ} تابعناه وواصلناه، وأنزلناه شيئًا فشيئًا، رحمةً بهم ولطفًا(*).

وللتوصيل أحوال كثيرة: فهو باعتبار ألفاظه وصل بعضه ببعض ولم ينزل جملة واحدة، وباعتبار معانيه وصل أصنافًا من الكلام: وعدًا، ووعيدًا، وترغيبًا، وترهيبًا، وقصصًا ومواعظ وعبرًا، ونصائح يعقب بعضها بعضًا، وينتقل من فنٍّ إلى فنٍّ؛ وفي كل ذلك عَوْن على نشاط الذهن للتذكر والتدبر(**).

(*) السعدي[٨]

(**) ابن عاشور[١٥]

{لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} حين تتكرر عليهم آياته، وتنزل عليهم بيّناته وقت الحاجة إليها. فصار نزوله متفرقًا رحمةً بهم، فلمَ اعترضوا على ما هو من مصالحهم؟

السعدي[٨]

تأمَّل طريقة القرآن الكريم في سرده الزواجرَ والمواعظ والأحكام والبراهين، بحيث تُقبل عليها النفوسُ بشغَف فلا تمَلُّها ولا تسأمُ منها.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾

الذين ثبتوا على الإيمان بالتوراة من قبل نزول القرآن، هم بالقرآن يؤمنون؛ لمَا يجدونه في كتبهم من الإخبار به ومن نَعْتِه.

من معين الآية:

لا يدَعُ الإيمانَ بالقرآن من أهل الديانات الأخرى إلا من يجهل ما أصابها من تحريف أو مَن كان صاحبَ هوًى.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾

وإذا يُقرأ عليهم قالوا آمنَّا به إنَّه الحقُّ الَّذي لا مِرْية فيه، المنزَّل من ربِّنا، إنَّا كنَّا من قبل هذا القرآن مسلمين؛ لإيماننا بما جاء به الرُّسل من قبله.

من معين الآية:

{وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ} استمعوا له وأذعنوا و {قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا} وهؤلاء الذين تفيد شهادتهم، وينفع قولهم، لأنهم لا يقولون ما يقولون إلا عن علم وبصيرة، لأنهم أهل الخبرة وأهل الكتب، وغيرهم لا يدلُّ ردُّهم ومعارضتهم للحق على شبهة، فضلًا عن الحجة، لأنهم ما بين جاهل فيه أو متجاهل معاند للحق، قال تعالى: {قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا} [الإسراء: ١٠٧].

السعدي[٨]

إنَّ القرآن من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى أكثر من الإصغاء إليه، فيعرف الذين عرَفوا الحق من قبلُ أنَّه من ذلك المَعين الصادق والمصدر الواحد الذي لا يكذب.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ} الذين عمَروا قلوبهم بالانقياد لله ربِّ العالمين من أهل الكتاب، سرعانَ ما يستجيبون لنور الإسلام إذا لاحت لعيونهم أنواره من غير تردُّد.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

جواز ثناء المرء على نفسه بالصفات المحمودة، بشرط أن تكون في ذلك مصلحة، وألا يكون فيه افتخار، وعلوٌّ على غيره، لقوله: {إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ} وهذا أمر واقع من الرسول صلى الله عليه وسلم ومن الصحابة، ومن أهل العلم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا النبيُّ لا كَذِبْ، أنا ابنُ عبدِ المُطَّلِبْ» أخرجه البخاري (٤٣١٧)، ومسلم (١٧٧٦).

محمد العثيمين[١١]

بيان فضل أهل الكتاب الذين آمنوا بالنبي الأمي وكتابه وأسلموا لله رب العالمين.

الجزائري[١٣]

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾

أولئك الموصوفون بما ذُكِر يعطيهم الله ثواب عملهم مرتين بسبب صبرهم على الإيمان بكتابهم، وبإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم حين بُعِث، ويدفعون بحسنات أعمالهم الصالحة ما اكتسبوه من الآثام، ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير.

من معين الآية:

ما أعظم ثواب الكتابيّ حين ينتصر على هواه وبيئته الفاسدة وتقليده لقومه، ثم يُقبل على الإسلام منقادًا محِبًّا!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ} قيل: يدفعون بالاحتمال والكلام الحَسَن أذى الناس، وقيل: يدفعون السيئة (وهي الذنب) بالتوبة والاستغفار، وعلى القول الأول فهو وصف لمكارم الأخلاق؛ أي: من قال لهم سوءًا... قابلوه من القول الحسن بما يدفعه.

القرطبي[١٥]

{وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ} حين يستعلي المرء على شهَوات النفس، ويعتزُّ بقيمةٍ هي أكبر من قِيَم الأرض، فإنَّه يُعَوِّد بذلك نفسه أن تكون سمحةً بالمال كما كانت سمحةً بالإحسان.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

المنفق لم ينفق مما صنعه، أو اكتسبه بنفسه، ولكن يُنفق من رزق الله، فالله هو الذي رزقك، وهو الذي أمرك، فأنت في الحقيقة عبد متصرف حسب أمر سيدك، قال لك: اكتسب. فاكتسبت، قال لك: أنفق. فأنفقت.

محمد العثيمين[١١]

أنفق جزءًا من مالك في سبيل الله[١٥].

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾

وإذا سمع هؤلاء المؤمنون من أهل الكتاب الباطل من القول أعرضوا عنه غير مُلتَفِتِين إليه، وقالوا مُخاطبين أصحابه: لنا جزاء أعمالنا، ولكم جزاء أعمالكم، سلِمْتُم منَّا من الشتم والأذى، لا نبتغي مصاحبة أصحاب الجهل لما فيها من الضرر والأذى على الدين والدنيا.

من معين الآية:

{وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ} لقد أدركوا أنَّ لغوهم وشتائمهم ستُحشر مع قائليها، لذا لم يَكْتَرِثوا بها.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

ينبغي الإعراض عن اللغو، وهو الكلام الذي لا فائدة فيه، ولا خير منه، والفعل يُقاس عليه، فلا ينبغي للإنسان أن يُمضي وقته في أفعال لا خير فيها.

محمد العثيمين[١١]

أنَّى للمؤمن أن ينشغل بحديث فارغ لا يُضيف إلى قلبه ولا عقله زادًا جديدًا، ولا معرفةً مفيدة، وهو المشغولُ بتكاليف الإيمان؟ المرتفعُ بأشواقه، المتطهر بأنواره؟

هدايات القرآن الكريم[١٤]

لا تَحسُن مراجعة الجاهل المُماحِل، وإنَّما يُبيَّن له الحق، فإن لجَّ في غَوايته لزِم الإعراض عنه.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

احضر مجلسًا من مجالس الذكر، وأقبل عليه بعقلك وسمعك[١٥].

فضيلة من يُعرض عن اللغو وأهل الجهالات، ويقول ما يسلم به من القول، وهذه إحدى صفات عباد الرحمن {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان:٦٣] أي قولًا يسلمون به. وهذا السلام ليس سلام تحية وإنما هو سلام متاركة.

الجزائري[١٣]

إنَّهم يكافحون من أجل أن تبقى حدائق عقولهم نظيفة من نبتة الأفكار الرديئة.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

اجعل عباراتك خاليةً من الكلام البذيء والمؤذي، حتى مع العصاة {وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ}[١٥].

الهوى يهوي بصاحبه

زعمُ المشركين والردُّ
عليهم، والحضُّ على
الرغبة في الآخرة

المقطع الثامن

بعد الحديث عن إيمان الصادقين من أهل الكتاب، تنتقل الآيات إلى تقرير حقيقة أزليَّة ربانيَّة، وهي أنَّ الهداية بِيَد الله تعالى وحده؛ وذلك لأنَّ من المعلوم أنَّ العاقل يسعى في منفعة أهله وأحبابه أولًا، ومعلوم أنَّ أكثر قريش لم يؤمن وقتها، فلئلا يظنُّ ظانٌّ أنَّ ذلك بسبب تقصير الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وحاشاه؛ أتت هذه الآية لتقرر هذه الحقيقة المطلقة؛ دفعًا لهذه الشبهة، وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، وذلك قبل الانتقال إلى تحذير كفار قريش من تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم، وإنكار القرآن(*)، قال الله تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَ لَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥٨ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ٥٩ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠ أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ٦١﴾.

(*) التفسير الموضوعي (٥/٥٥٦).

معاني الكلمات

نُتَخَطَّفْ	نُنْتزع بسرعة بالقتل والأسْر.
يُجْبَىٰٓ	يُجلب إليه.
وَكَمْ	كثيرًا.
بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا	طَغَتْ وتمرَّدتْ في حياتها.
أُمِّهَا	أعظمها، وهي مكة.
ٱلْمُحْضَرِينَ	ممن أُحْضِروا للنار.

تفسير الآيات

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

إنَّك -**أيُّها الرسول**- لا تهدي من أحببت مثل أبي طالب وغيره بتوفيقه للإيمان، ولكن الله وحده هو الَّذي يوفِّق من يشاء للهداية، وهو أعلم بمن سبق في علمه أنَّه من المهتدين إلى الصراط المستقيم.

من معين الآية:

يسلّي ربنا رسوله صلى الله عليه وسلم، لأن آلامنا تتضاعف عندما يرفض الحقيقة من نحب.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

الحمد لله أن بيَّن سبحانه وتعالى أنَّ هذا الأمر ليس إلينا، إنَّما هو إليه، إن اهتدوا فلهم، ولنا ثواب دِلالتهم، وإن لم يهتدوا، فلنا ثواب الدِّلالة والدعوة، وعليهم وزر الغي.

محمد العثيمين[١١]

وأمَّا إثبات الهداية للرسول في قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى:٥٢] فتلك هداية البيان والإرشاد، فالرسول يُبيّن الصراط المستقيم، ويرغِّب فيه، ويبذل جهده في سلوك الخلق له، وأمَّا كونه يخلق في قلوبهم الإيمان، ويوفقهم بالفعل، فحاشا وكلا.

السعدي[٨]

أكثِر من سؤال الله الهداية فإنَّها بيد الله لا بيد غيره، وهو أعلم بمَن يستحقها ممَّن لا يستحق.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَ لَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾

وقال المشركون من أهل مكة معتذرين عن اتِّباع الإسلام والإيمان به: إن نتَّبع هذا الإسلام الَّذي جِئتَ به ينتزعنا أعداؤنا من أرضنا بسرعة، أَوَلَم نُمكِّن لهؤلاء المشركين حرَمًا يحرم فيه سفك الدماء والظلم، يأمنون فيه من إغارة غيرهم عليهم، تُجلب إليه ثمار كل شيء رزقًا من لدنَّا سُقناه إليهم؟! ولكنَّ معظمهم لا يعلمون ما أنعم الله به عليهم فيشكروه له.

من معين الآية:

لا وجه لخوف من التخطّف إن آمنوا؛ فإنَّهم لا يخافون منه وهم عبدة أصنام، فكيف يخافون إذا آمنوا وضمُّوا حُرمة الإيمان إلى حُرمة المقام؟!

الألوسي[١٥]

يعلم أهل الضلال أنَّ ما يُدعون إليه (هو الهدى)، لكنَّهم يؤثِرون العيش في الغَواية خوفًا من فوات مصالح الدينا، أو وقوع الضرر عليها، فما أجهلهم!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

إذا أيقن الإنسان أنَّ الرزق من عند الله وحده، لم يخَف أحدًا أو يرجُه في رزقه، فيبقى قلبه متعلقًا بربِّه وحده، وذلك يُوجب كمال الإيمان، والإعراضَ عن غير الله تعالى.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

الواجب علينا ألا نخاف ما دمنا نرى أنَّنا نسير على الحق، بل علينا أن نعلم علم اليقين أنَّنا لو صِرنا على الحق لخافنا أعداؤنا، ولم نخف منهم، قال الله سبحانه وتعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ} [الأنعام:٨٢].

محمد العثيمين[١١]

التاريخ يعيد نفسه كما يقولون؛ فما اعتذر به المشركون عن قبول الإسلام بحجَّة تَأَلُّب العرب عليهم وتعطيل تجارتهم، يعتذر به اليوم كثير من المسؤولين؛ فعطَّلوا الحدود، وجاروا الغرب في فصل الدين عن الدولة، وأباحوا كبائر الإثم كالربا وشرب الخمور وترك الصلاة؛ حتى لا يُقال عنهم إنهم رجعيُّون متزمِّتون، فيمنعوهم المعونات ويحاصرونهم اقتصاديًّا.

الجزائري[١٣]

ما أطيب الرزق الحسن في ظلال الاطمئنان والأمن! إذ لا لذة في رزق مهما حسُن، والخوفُ يحيط به من كل جانب.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

لو يعلم الناس علم اليقين بأنَّ الرزق الحسن والأمن التام إنَّما هو باتباع شرع الله؛ ما خافوا على أنفسهم وأرزاقهم من العمل به.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

إنَّما يلحق الخوف مَن لم يتبع الهدى، وأمَّا من اتَّبعه فله الأمن والعاقبة الحسنة من الله.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًاۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾

وما أكثر القرى التي كفرت نعمة الله عليها فأسرفت في الذنوب والمعاصي، فأرسلنا عليها عذابًا فأهلكناها به، فتلك مساكنهم مندثرة يمرُّ الناس عليها لم تُسْكَن من بعد أهلها إلا قليلًا من بعض العابرين، وكنَّا نحن الوارثين الذين نرث السماوات والأرض ومن فيهما.

من معين الآية:

فائدة ذكر إهلاك القرى السابقة في هذا السياق؛ لأجل أن يُقال لقريش: الكفر لا يمنع الخوف ولا يمنع العقوبة، بل إنَّه سبب العقوبة.

فالحاصل أنَّ الله يُكذِّب ما قالوا لأمرين:

- **الأول:** أنَّ هذا الحرم آمنًا، والناس هم الذين يُتَخَطَّفون من حولِه: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ} [العنكبوت: ٦٧].

- **وثانيًا:** أن الكفر ليس سببًا للبقاء.

العثيمين[١١]

إنَّ أمةً بطرت في زمان عيشها الرخي، وجاوزت الحدَّ في فرحها ومرحها، وكفرت النِّعمة ولم تشكرها؛ لهي أُمَّة تُعرِّض ما أوتيته للهلاك.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

تأمَّل مصير الجبارين الذين خلت دورهم، وعُطِّلت قصورهم، قد أفنتهم والله كؤوس الحِمام، وأذلَّتهم مصارعُ الأيام، فيا ويح من لم يعتبر بأيامهم، ولم يزدجر عن مثل آثامهم!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

ذكِّر إخوانك بأنَّ الإسراف والبطر في المعيشة من أسباب زوال النعمة، واستشهد بهذه الآية {وَكَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَها فَتِلْكَ مَساكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوارِثِينَ}[١٥].

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾

ولم يكن ربُّك -**أيُّها الرسول**- مُهلِكَ القُرى حتَّى يعذر إلى أهلها ببعث رسول في القرية الكبرى منها كما بعثك أنت في أم القرى، وهي مكة، وما كنَّا لِنُهلِكَ أهل القرى وهم مُستقيمون على الحق، إنَّما نُهلِكُهم إن كانوا ظالمين بالكفر وارتكاب المعاصي.

من معين الآية:

بزوغ نور الدعوة المستقيمة في المدن يُشع نوره إلى بواديها؛ لأنها تبَع لها، والمدن مرجعها، فما أجمل أن يُعنى بالأصل ليَصلُح به الفرع!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

إذا عمَّ الظلم من العباد، وفشا بينهم الإعراضُ والفساد، نزل بهم العذابُ العام؛ جزاء مظالمهم.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

والحاصل: أنَّ الله لا يعذب أحدًا إلا بظلمه، وإقامة الحجة عليه.

السعدي[٨]

مناسبة

ولمَّا اعتذر المشركون عن اتِّباع الحقِّ بما يلاقونه من مصاعب الحرب وانقطاع التجارة، أجابهم الله بقوله[١]:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾.

وما أعطاكم ربكم من شيء فهو مما تتمتَّعون به وتتزيَّنون في الحياة الدنيا ثم يفنى، وما عند الله من الثواب العظيم في الآخرة خير وأبقى مما في الدنيا من متاع وزينة، أفلا تعقلون ذلك، فتؤثروا ما هو باقٍ على ما هو فانٍ؟!

من مَعين الآية

هذا حضٌّ من الله لعباده على الزهد في الدنيا وعدم الإغترار بها، وعلى الرغبة في الأخرى، وجعلها مقصود العبد ومطلوبه.

السعدي[٨]

جميع ما أوتيه الخلق، من الذهب، والفضة، والحيوانات والأمتعة، والنساء، والبنين، والمآكل، والمشارب، واللذات، كلها... يُتمتع به وقتًا قصيرًا، متاعًا قاصرًا، محشوًا بالمنغصات، ممزوجًا بالغصص.

السعدي[٨]

لا مُقارنة عند العاقل بين متاع الدنيا الزائل وخير الآخرة الدائم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما الدُّنيا في الآخرةِ إلَّا كما يجعَلُ أحدُكم أصبعَه في اليمِّ فلينظر بمَ يرجِعُ». أخرجه مسلم (٢٨٥٨) وغيره باختلاف يسير.

التفسير الموضوعي[٢]

{أَفَلَا تَعْقِلُونَ} أي: أفلا يكون لكم عقول، بها تزنون أيّ الأمور أولى بالإيثار؟! وأيّ الدارين أحق للعمل لها؟! فدلّ ذلك أنَّه بحسب عقل العبد يُؤْثِر الأُخرى على الدنيا، وأنَّه ما آثر أحد الدنيا إلا لنقص في عقله.

السعدي[٨]

فائدة العقل أن يعقل صاحبه دون ما يضره، ويبعثه على ما ينفعه، فإن لم يعقله دون ما يضره ولم يبعثه على ما ينفعه فلا وجود له، ووجوده كعدمه.

الجزائري[١٣]

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾

أفمن وعدناه في الآخرة الجنة وما فيها من نعيم مقيم فهو صائر إليه لا محالة، كمن أعطيناه ما يتمتع به من مال وزينة في الحياة الدنيا، ثم يكون يوم القيامة من المُحْضَرين إلى نار جهنم؟!

من مَعين الآية

قد يعُوق المخلوق الوفيَّ عن الوفاء بوعده عوائق، ولكنَّ الله تعالى إذا وعد لا يقف أمام وعده عائق، فإنَّه إذا وعد وفَى، ومتى أعطى كفى وأغنى.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

ما ذُكِرَت في القُرآن
إلا محتقرةً مُهانة!

من مواقف المُشركين يوم القيامة، وبعض مظاهر قدرة الله ورحمته

المقطع التاسع

خُتِم المقطع السابق بالترغيب فيما عند الله من الخيرات، والتهديد من الوعيد والويلات، وافتُتِح هذا المقطع بموقف من مواقف يوم القيامة(*)، قال تعالى:

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۚ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

(*) التفسير الموضوعي (٥/٥٦١).

معاني الكلمات

أَغْوَيْنَآ	دعوناهم للغواية فاتَّبعونا
فَعَمِيَتْ	فخَفِيَتْ
ٱلْأَنۢبَآءُ	الحُجَج
وَيَخْتَارُ	يصطفي
ٱلْخِيَرَةُ	الاختيار
تُكِنُّ	تُخفي
أَرَءَيْتُمْ	أخبروني
سَرْمَدًا	دائمًا باقيًا
شَهِيدًا	رسولًا شاهدًا يشهد على قومه بشركهم
وَضَلَّ	ذَهَبَ
يَفْتَرُونَ	يختلقونه من الكذب

تفسير الآيات

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾

ويوم يناديهم ربهم سبحانه وتعالى قائلًا: أين شركائي الذين كنتم تعبدونهم من دوني وتزعمون أنهم شركائي؟

قال الذين وجب عليهم العذاب من الدعاة إلى الكفر: ربنا هؤلاء الذين أضللنا، أضللناهم كما ضللنا، نتبرأ إليك منهم، ما كانوا يعبدوننا وإنَّما كانوا يعبدون الشياطين.

من مَعين الآية

شجرة الإخلاص أصلها ثابت، لا يضرها زعازع: {أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} وشجرة الرياء فإنها تُجْتَثُّ عند نسمة: «مَن كانَ يَعْبُدُ شيئًا فَلْيَتَّبِعْ» رواه البخاري (٨٠٦).

ابن القيم، بدائع الفوائد[١٦]

يعترفون في الآخرة بأنَّهم كانوا غاوين مُغوِين، وأمَّا في الدنيا فجعلوا أنفسهم هادين مُهتدين، فماذا ينفعهم الاعتراف وقد وقفوا في ذلِّ الحساب؟

هدايات القرآن الكريم[١٤]

تَنَصَّل المضِلون عن أتباعهم بعدما أيقنوا بسوء مصيرهم، فهل تفكَّر أتباع المُضِلِّين اليوم في هذا المآل غدًا فأقلعوا عن ضلالهم واتِّباعهم أئمة الغَواية؟

هدايات القرآن الكريم[١٤]

لا تُعلِّق قلبك إلا بالله تعالى، ولا تلتفت إلا إليه، ولا تتوجه إلا له، فإنَّ أشقى الناس مَن يزعم أنَّ لله تعالى ندًّا يدعوه ويرجوه، فإذا ما احتاج إليه خذله.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

﴿وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ﴾

وقيل لهم: نادوا شركاءكم لينقذوكم مما أنتم فيه من الخزي، فنادوا شركاءهم فلم يستجيبوا لندائهم، وشاهدوا العذاب المُعدَّ لهم، فودُّوا لو أنَّهم كانوا في الدنيا مُهتدين للحق.

من مَعين الآية

أمر الله للمشركين أن يدعوا شركائهم في الآخرة ليس من باب التكليف، وإنَّما الغرض التحدي، وإظهار عجز هذه الأصنام، وهذا هو الظاهر.

محمد العثيمين[١١]

إنَّ الرجاء بالمعبود الباطل ينقشع سَحابُه الكاذب عن عابده يوم القيامة، فلا يرى منه نصرًا ولا شفاعة، فماذا جنى المشرك بربِّه من جعلِ شريك لله من خلقه غيرَ الخسارة والندامة؟

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ} إذا أردت سببًا ينجيك من عذاب الله فعليك بالاهتداء بهَدي الله -أو بهُدى الله- فإنَّه هو السبب الذي يُنجي من عذاب الله.

محمد العثيمين[١١]

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

ويوم يناديهم ربُّهم قائلًا: ماذا أجبتم به رسلي الذين بعثتهم إليكم؟

فخفي عليهم ما يحتجُّون به فلم يذكروا شيئًا، ولا يسأل بعضهم بعضًا؛ لما هم فيه من هول الصدمة بسبب ما أيقنوا أنَّهم صائرون إليه من العذاب.

من معين الآية:

طوبى لمَن أعدَّ جوابًا صائبًا للسؤالين العظيمين: السؤال عن الإخلاص لله، والسؤال عن متابعة رسله عليهم السلام.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

غير المؤمنين تعمى عليهم الأنباء في ذلك اليوم، ولو كانوا عالمين، وهذا كما أنَّ الميت إذا سُئِل في قبره: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ولو كان عالمًا؛ فإنَّه إذا كان غير مؤمن لا يُجيب بالصواب.

محمد العثيمين[١١]

لا حُجَّة يوم القيامة لمن خالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ اتِّباعًا لهوًى، أو تعصُّبًا لرأي يُخالف الهدى بعدما تبيَّن له العلم.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

ما أكثر حُججَ المُبطلين في الدنيا وأفصح ألسنتَهم بها! فإذا ما وُقِفوا بين يدي خالقهم ذهبت تلك الحجج، وخَرِست ألسنتهم أجمعين، فلا نفعَ حينذاك من سؤال بعضهم بعضًا عنها.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

مناسبة

لما ذكر تعالى سؤال الخلق عن معبودهم وعن رسلهم، ذكر الطريق الذي ينجو به العبد من عقاب الله تعالى، فقال تعالى[٨]:

﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾.

فأمَّا من تاب من هؤلاء المشركين من كفره وآمن بالله ورسله، وعمل عملًا صالحًا؛ فعسى أن يكون من الفائزين بما يطلبونه، الناجين مما يرهبونه.

من مَعين الآية

باب التوبة مفتوح لكل عبد مهما كانت ذنوبه ولا يهلك على الله إلا هالك.

الجزائري[١٣]

العمل لا ينفع إلا إذا كان صالحًا وهو ما جمع شرطين: الإخلاص، والمتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم.

محمد العثيمين[١١]

{فَعَسَى} من الله موجبة؛ فإنَّ هذا واقع بفضل الله ومنته لا محالة.

ابن كثير[١٥]

الفلاح مرتبة عالية لا ينالها إلا ذوو الأوصاف الحميدة: التائبون المؤمنون العاملون صالحًا.

محمد العثيمين[١١]

استغفر الله تعالى وتب إليه هذا اليوم سبعين مرة {فَأَمَّا مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحًا فَعَسى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ}[١٥].

عمل قلبي

(التوبة)

(خير أيام العبد وأفضلها على الإطلاق: يوم توبته، وقبول الله توبته)

- معنى التوبة:

- **في اللغة:** تدل على الرجوع.

- **في الشرع:** "ترْك الذنب علمًا بقبحه، وندمًا على فعله، وعزمًا على ألّا يعود إليه إذا قَدِر، وتداركًا لما يمكن تداركه من الأعمال، وأداءً لما ضيَّع من الفرائض؛ إخلاصًا لله، ورجاء لثوابه، وخوفًا من عقابه، وأن يكون ذلك قبل الغَرغرة وقبل طلوع الشمس من مغربها".

- المراد بالتوبة النصوح:

قال ابن القيم -رحمه الله-: النصح في التوبة يتضمن ثلاثة اشياء:

- الأول: تعميم جميع الذنوب واستغراقها بها بحيث لا تدع ذنبا إلا تناولته.

- الثاني: إجماع العزم والصدق بكليته عليها بحيث لا يبقى عنده تردُّد ولا تلوُّم ولا انتظار، بل يجمع عليها كل إرادته وعزيمته مبادرًا بها.

- الثالث: تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها، ووقوعها لمحض الخوف من الله وخشيته والرغبة فيما لديه، والرهبة مما عنده.

- حكم التوبة:

التوبة نوعان واجبة ومستحبة:

- **فالواجبة** هي التوبة من ترك مأمور أو فعل محظور، وهذه واجبة على جميع المكلفين.

- **والمستحبة** هي التوبة من ترك المستحبات وفعل المكروهات.

هل التوبة تجب على الفور؟

"التوبة واجبة على الفور فمن أخَّرها زمانًا صار عاصيًا بتأخيرها، فيحتاج إلى توبة من تأخيرها".

- **علامات صدق التوبة:**

١. محبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ومحبة أهل الإيمان، وبغض الكفر وأهله.

٢. أن يكون حال التائب بعد التوبة خيرًا مما كان قبلها.

٣. الخوف من الله عز وجل، لأنَّه لا يأمن مكر الله طرفة عين.

٤. انخلاع قلبه وتقطُّعه ندمًا وخوفًا، وهذا على قدر عِظَم الجناية وصغرها.

٥. انكسار القلب بين يدي الله تعالى.

- **شروط التوبة:**

١. الإخلاص لله تعالى فيها: فإنَّ التوبة من أعظم الحسنات؛ والحسنات كلها يُشترط فيها الإخلاص لله وموافقة أمره.

٢. الندم: وهو انفعال القلب بالأسى والحسرة والحزن بسبب ما وقع من الذنب.

٣. الإقلاع عن الذنب.

٤. العزم على ألّا يعود للذنب مرة أخرى.

٥. التحلُّل من حقوق الناس: وذلك لأنَّ حقوق العباد الأصل فيها المشاحّة، فلا بد من إعادتها.

٦. أن تكون في وقتها المعتبر:فلا توبة بعد الغرغرة، ولا توبة بعد طلوع الشمس من مغربها.

- **من آداب التوبة ومُكمِّلاتها:**

١. الإكثار من الحسنات، خاصة الصدقة.

٢. مُفارقة الحال والمكان الذي عصى الله فيه.

٣. الاعتراف بالذنب مقرونًا بالانكسار.

٤. الإكثار من التضرع والاستغفار.

- **الطريق إلى تحقيق التوبة:**

١. معرفة الله تعالى معرفة صحيحة بأسمائه وصفاته، فكلما كان العبدُ بالله أعلمَ كان له أخوفَ وأشدَّ تعظيمًا.

٢. تدبُّر القرآن.

٣. اجتناب العقبات في طريق التوبة، ومن ذلك: التسويف، وغلبة الشهوات، واعتياد المنكر وإدمانه، وقرناء السوء.

٤. التفكُّر: فحريٌّ بمن تفكَّر في عواقب المعاصي، وما قد يحصل له بها من خزي الدنيا وعذاب الآخرة أن يُعرِض عنها.

٥. الصدق مع الله تعالى، والإخلاص له، والاستعانة به، وسؤاله التوفيق للتوبة.

٦. مجاهدة النفس، والصبر على ترك الشهوات، قال تعالى: {وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ} [العنكبوت: ٦٩].

٧. النظر في سِيَر أهل التوبة من الأنبياء والسلف الصالح، واستحضار كلامهم في الحثِّ على التوبة.

- **ثمرات التوبة:**

١. صقل القلب وصلاحه؛ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ المؤمنَ إذا أذنبَ كانت نكتةٌ سوداءُ في قلبِه فإن تاب ونزع واستغفرَ صقلَ قلبُه فإن زاد زادت فذلك الرَّانُ الذي ذكرَه اللهُ في كتابِه: {كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ} [المطففين: ١٤]». رواه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٤٤١).

٢. العلم والفهم؛ قال ابن القيم –رحمه الله-: "فإنَّ العلم نور الله يقذفه في قلب عبده، والهوى والمعصية رياح عاصفة تطفئ ذلك النور، ولا بد أن تضعفه".

٣. دفع الهم والحزن؛ فإذا وجد العبد من نفسه أنَّه لا يحصل له حلاوة الإيمان، ولا ينشرح صدره لأمر الله، ويصيبه ما يصيبه من الهم والغم، فليُكثر من التوبة والاستغفار.

٤. محو الذنوب.

٥. أنَّها سبب للفلاح؛ قال تعالى: {وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ} [النور: ٣١].

٦. أنَّها سبب لنزول الأمطار، وزيادة القوة والإمداد بالأموال والبنين.

٧. أنَّها تُثمر محبة الله تعالى، قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: ٢٢٢].

نسأل الله تعالى أن يغفر لنا خطيئتنا، وجهلنا، وإسرافنا في أمرنا كله، وما هو أعلم به منَّا

﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٨ وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٦٩ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٧٠﴾

وربُّك -**أيُّها الرسول**- يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويصطفي من يشاء لطاعته ونبُوَّته، ليس للمشركين الاختيار حتى يعترضوا على الله، تنزَّه سبحانه وتقدَّس عما يعبدون معه من الشركاء.

وربُّك يعلم ما تُخفي صدورهم وما يُعلنونه، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيهم عليه.

وهو الله سبحانه لا معبود بحقٍّ غيره، له وحده الحمد في الدنيا، وله الحمد في الآخرة، وله القضاء النافذ الذي لا مردَّ له، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

من مَعين الآية

{وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ} الله عزَّ وجلَّ منفردٌ بالإرادة المُطلقة، فلا مُعقِّب لحكمه، ولا رادَّ لقضائه.

محمد العثيمين[١١]

على العبد تفويض الأمور كلها إلى الله تعالى -كما مرّ تفويض الهداية إليه سبحانه وتعالى- فهو يخلق ما يشاء ويختار، وليس لأحد فيما لم يشأ اختيار.

التفسير الموضوعي[٢]

لو استقرت هذه الحقيقة في العقول والضمائر ما سخِط الناس شيئًا يحلُّ بهم، ولا أحزنهم شيء يفوتهم أو يُفلِت منهم؛ إذ ليسوا هم الذين يختارون، إنَّما الله هو الذي يختار.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

كما يُستفاد: تأكيد سنَّة الاستخارة وهي إذا همَّ العبد بالأمر يصلي ركعتين في وقت لا تُكره فيه صلاة النافلة، ثم يدعو بدعاء الاستخارة كما ورد في الصحيح.
الجزائري[١٣]

حدد أمرًا أنت مُقبل عليه من أمور دنياك، ثم صلِّ ركعتين للاستخارة، وادعُ بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِن فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هذا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي ومعاشِي وعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي، وإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هذا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي ومعاشِي وعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي واصْرِفْنِي عنْه، واقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي به، ويُسَمِّي حَاجَتَهُ» رواه البخاري (٦٣٨٢)[١٥].

{وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ} في الآية تحذير وترغيب، تحذير الإنسان أن يُضمر أو يُعلن سوءًا؛ لأنَّ الله يعلم به، وترغيبه في أن يُضمر أو يُعلن خيرًا؛ لأنَّ الله يعلمه، ولا يضيع عند الله شيء.
محمد العثيمين[١١]

من عيوب النفس أن تسترسل مع الخواطر السيئة التي تمر بذهنها، فتترسَّخ فيها. ودواء ذلك أن يردَّ تلك الخواطر في الابتداء، ويدفعها بالذكر الدائم، ويتذكَّر أنَّ الله مُطَّلع على سريرته، وأن يعيش مع قول الله: {وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ} و {وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى} [طه: ٧].
بتصرف: عبدالعزيز السلمان، اغتنام الأوقات[١٦]

أيها المؤمن؛ إذا كان ربُّك سبحانه هو المطَّلع على ما يُضمره لك عدوُّك من الشر، أفتظنُّ أنَّه يدَعك في المعركة وحدك؟
هدايات القرآن الكريم[١٤]

سل الله تعالى أن يصلح علانيتك وسريرتك[١٥].

{وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ ۖ} من كان له الحمد كاملًا دائمًا، فله وحده الدِّينُ واصبًا، فما أخسر مَن دعا غيره! وما أضلَّ مَن زعم أنَّ له شريكًا!
هدايات القرآن الكريم[١٤]

{وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} في الإخبار بمرجع الخلق إلى الخالق تقوية لقلوب المطيعين، فربّهم الذي يرجعون إليه عادلٌ في حكمه، عالمٌ بكلِّ أعمالِ عباده.
هدايات القرآن الكريم[١٤]

إذا كان مرجعك إلى ربِّك، وإليه الحكم في عملك، وهو العليم بكل صغيرة وكبيرة منك، فماذا أعددت ليوم لقائه حتى تنجوَ من سَخطه؟
هدايات القرآن الكريم[١٤]

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

قل -**أيُّها الرسول**- لهؤلاء المشركين: أخبروني إن صيَّر الله عليكم الليل دائمًا مستمرًا، لا انقطاع له إلى يوم القيامة، من معبود غير الله يأتيكم بضياء مثل ضياء النهار؟! أفلا تسمعون هذه الحجج، وتعلمون أن لا إله إلا الله يأتيكم بذلك؟!

قل لهم -**أيُّها الرسول**-: أخبروني إن صيَّر الله عليكم النهار دائمًا مستمرًّا إلى يوم القيامة، من معبود غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه لتستريحوا من عناء العمل في النهار؟! أفلا تُبصرون هذه الآيات، وتعلمون أن لا إله إلا الله يأتيكم بذلك كله؟!

ومن رحمته سبحانه أن جعل لكم -**أيُّها الناس**- الليل مظلمًا؛ لتسكنوا فيه بعدما عانيتم من عمل في النهار، وجعل لكم النهار مضيئًا؛ لتسعوا إلى طلب الرزق فيه، ولعلكم تشكرون نِعَم الله عليكم ولا تكفرونها.

من مَعين الآية

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ{ ومن أَبْدَعِ الاستدلال، أن اختير للاستدلال على وحدانية الله، هذا الصنع العجيب المتكرر كل يوم مرتين، والذي يستوي في إدراكه كل مُمَيِّز، والذي هو أجلى مظاهر التغيُّر في هذا العالم.

ابن عاشور[١٥]

جعل الله الحياةَ على نظام دقيق، فلم يكن الزمانُ ليلًا كلُّه، ولا نهارًا كله، بل جعل فيه ليلًا للراحة والسكون، ونهارًا للعمل والإنتاج، فمن عكس بعمله ذلك فقد خالف سُنَّة الحياة.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

من أعظم نِعم الله على عباده نعمة السكُون والهدوء في حضن الليل، فهناك يخلُد الإنسان إلى راحة جسده وباله، ويستعيد نشاطه لجديد يومه.
هدايات القرآن الكريم[١٤]

نوم الليل أكثر فائدة للجسم من نوم النهار، حيث جعل الله الليل محل سكن.
محمد العثيمين[١١]

قال الله تعالى في الليل: {أَفَلا تَسْمَعُونَ} وفي النهار: {أَفَلا تُبْصِرُونَ} لأنَّ سلطان السمع أبلغ في الليل من سلطان البصر، وعكسه النهار.
السعدي[٨]

من سمع آيات الله المسطورةَ سماع فهم وقَبول رأى في آيات الله المنشورة من ليل ونهار، وبرٍّ وبحار، أنوارًا ساطعة تهديه إلى معرفة عظمة الله وقدرته، وإبداع خلقه وسابغ نعمته.
هدايات القرآن الكريم[١٤]

في هذه الآيات، **تنبيه** إلى أنَّ العبد ينبغي له أن يتدبر نِعَم الله عليه، ويستبصر فيها، ويقيسها بحال عدمها، فإنَّه إذا وازن بين حالة وجودها، وبين حالة عدمها، تنبَّه عقله لموضع المِنَّة، بخلاف من جرى مع العوائد، ورأى أنَّ هذا أمر لم يزل مستمرًا، ولا يزال، وعميَ قلبه عن الثناء على الله بنِعَمِه، ورؤية افتقاره إليها في كل وقت؛ فإنَّ هذا لا يُحدِثُ له فِكرة شُكرٍ ولا ذِكرٍ.
السعدي[٨]

وجوب حمد الله وشكره على كل حال وذلك لتجدد النعمة في كل آن.
الجزائري[١٣]

تبصَّر في آيات الله عز وجل؛ لتتأمَّل من خلالها كمال قدرة الخالق[١١].

حاول أن تنام مبكرًا وتصحو مبكرًا؛ فهذا من شكر نعمة الله، وأقرب للفطرة[١٥].

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

ويوم يناديهم ربُّهم سبحانه وتعالى قائلًا: أين شركائي الذين كنتم تعبدونهم من دوني، وتزعمون أنَّهم شركائي؟

وأحضرنا من كل أمَّة نبيَّها يشهد عليها بما كانت عليه من الكفر والتكذيب، فقلنا للمكذبين من تلك الأمم: أعطوا حُجَجَكم وأدلتكم على ما كنتم عليه من الكفر والتكذيب، فانقطعت حُجَجُهم وأيقنوا أنَّ الحق الذي لا مِرْية فيه لله، وغاب عنهم ما كانوا يختلقونه من الشركاء له سبحانه.

من مَعين الآية

ما أقساه من توبيخ يلقاه كل مشرك يوم القيامة بين يدي ربه! فطوبى لمن وحَّد الله تعالى اليوم ليلقى الإكرام غدًا.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

ماذا يتوقع المكذبون بنبيِّهم أن يقولَ عنهم بين يدَي ربِّهم؟ فهل لديهم حجَّة يدفعون بها عقوبةَ شركهم وشهادةَ نبيِّهم عليهم؟

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} من الافتراء والكذب: اتخاذ الأصنام آلهة، ويشهد لذلك قول إبراهيم لقومه: {أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ} [الصافات:٨٦].

محمد العثيمين[١١]

يوم القيامة يذهب عن المشركين الاستكبار، وتنقشع عنهم غِشاوة الأبصار، فيعرفون أنهم كانوا على ضلال، وأن افتراءهم على الله تعالى أوردهم سوء المآل.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

أحاديث نبوية

الله سبحانه هو الذي مهما بلغنا من حمده وشكره لا نستطيع أن نوفّيه على نِعَمِهِ وأفضاله، وبالحمد يُستجلب رضا الله عن العبد، وتيسير الأمور، وتفريج الكرب، وقد ورد الحثُّ على هذه العبادة الجليلة في كثير من الآيات والأحاديث، ومن ذلك:

١٢. عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»**.

رواه مسلم (٢٧٣٤).

١٣. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»**.

رواه مسلم (٢٦٩٥).

"سؤالان يُسْأَلُ عنهُما
الأوَّلُون والآخرون"

قصة قارون وبغْيه، وبيان
أنّ العاقبة للمتقين

المقطع العاشر

لمَّا دلَّ على عجزهم في الآخرة، وعلموا أنَّ المتصرِّف في جميع الأقدار إنَّما هو الواحد القهار، دلَّ على أنَّ ذلك له أيضًا في هذه الدنيا، بوقوع عقابه في أهل البطر والطغيان(*).

أيضًا: لمَّا ذكر الله أنَّ فرعون علا في الأرض بسبب السلطان، ذكر طغيان قارون بسبب المال(**)، قال تعالى:

﴿*إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَ لَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٢ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٤﴾.

(*) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤/ ٣٤٧).

(**) المختصر في التفسير.

معاني الكلمات

فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡ	تجاوز حدَّه في الكِبْرِ والتَّجَبُّر عليهم
ٱلۡكُنُوزِ	خزائن الأموال
مَفَاتِحَهُۥ	مفاتيحَ مالِه وصناديقه المقفلة
لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ	ليَثْقُل حملها على الجماعة الكثيرة
لَا تَفۡرَحۡۖ	لا تبطر
وَٱبۡتَغِ	اِلتمس واطلب
وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ	لا تترك حظَّك
ٱلۡقُرُونِ	الأُمم
وَلَا يُسۡـَٔلُ	أي: لا يُسألون سؤال استعلام، بل سؤال توبيخ وتقرير
يُلَقَّىٰهَآ	يتقبَّل النصيحة، ويوفَّق للعمل بها
فِئَةٍ	جُند وجماعة
وَيۡكَأَنَّ	كلمةُ توجُّعٍ، وتأسُّفٍ، وتعجب، بمعنى: ألم تعلم
وَيَقۡدِرُ	يُضَيِّق
وَيۡكَأَنَّهُۥ	ألم تعلم أنه
عُلُوّٗا	تكبُّرًا

تفسير الآيات

﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦﴾

إنَّ قارون كان من قوم موسى -عليه السلام- فتكبَّر عليهم، وأعطيناه من كنوز الأموال ما إن مفاتح خزائنه ليثقل حملها على الجماعة القويَّة، إذ قال له قومه: لا تفرح فرح البَطَر، إنَّ الله لا يحبُّ الفرحين فرح البَطَر، بل يبغضهم ويعذبهم على ذلك.

من معين الآية:

لمَّا قال تعالى: {وَمَا أُوتِيتُم من شَيْءٍ فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا} [القصص:٦٠] بيَّن أنَّ قارون أوتيها واغترَّ بها، ولم تعْصِمْه من عذاب الله كما لم تعصِم فرعون، ولستم أيُّها المشركون بأكثر عددًا ومالًا من قارون وفرعون، فلم ينفع فرعون جنوده وأمواله، ولم ينفع قارون قرابته من موسى ولا كنوزه.

القرطبي[١٥]

{إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى} كأيِّ واحد منهم، لا يملك أي معنى إضافي في الخلق ليتكبَّر عليهم، شراكتنا في الخلقة البشريَّة تُطيح بأيِّ مبرِّر لاستعلائنا.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

إذا استحوذ حبُّ المال على الفؤاد أورث صاحبه الزَّهوَ والاغترار، وأنساه حقَّ المُنعِم عليه من الشكر واستعمالِ ما أعطاه فيما يرضاه.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ} لا ينبغي لأقارب المرء وجيرانه تركُه من غير نُصح إذا زلَّ، وردُّه إلى الحقِّ إذا ضلَّ؛ فإنَّ ذلك من حقِّ القريب على قريبه، والجار على جاره.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

ضرورة النصح لمن يُخاف عليه من الفتنة.

المختصر[١]

من فضل الله على الأمة أن يوجد فيها عالمون ينصحون ويُرشدون ويُوجِّهون.

الجزائري[١٣]

{لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} من حُسن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى أنَّه إذا ذُكِر الحكم تُذكر العلَّة؛ تخويفًا، أو ترغيبًا، إن كان منصوحًا (بطلب) تُذكر العلَّة ترغيبًا، وإن كان منصوحًا (بنهيٍ) فإنها تُذكر تخويفًا.

محمد العثيمين[١١]

لا يفرح بالدنيا إلا من غَفَلَ عن الآخرة.

ابن جزي[١٥]

من عَلِم أنَّ لذَّات الدنيا ستُفارقه، ولن تدوم فيها راحته؛ لم يفرح بها، ولم يَبطَر بزيادة حظِّه فيها.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

كفى البَطِرين مذمَّةً وغُبنًا أن الله تعالى لا يحبهم، ومن كان الله مبغضًا له فماذا ستنفعه الدنيا كلها لو كانت ملكه؟

هدايات القرآن الكريم[١٤]

تذكَّر نجاحًا حقَّقته ثم اشكر الله سبحانه وتواضع له[١٥].

﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾

واطلب فيما أعطاك الله من الأموال الثواب في الدار الآخرة؛ بأن تُنفقه في وجوه الخير، ولا تنسَ نصيبك من الأكل والشرب واللباس وغير ذلك من النِّعم، في غير إسراف ولا مَخْيلَة، وأحسِن التعامل مع ربِّك ومع عباده كما أحسن سبحانه إليك، ولا تطلب الفساد في الأرض بارتكاب المعاصي وترك الطاعات، إنَّ الله لا يحب المفسدين في الأرض بذلك، بل يُبغضهم.

من معين الآية:

{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ} إذا وهب الله لك من وسائل الآخرة ما لم يهبْهُ غيرك من الأموال، فابتغِ بها ما عند الله، وتصدَّق.

بتصرف: السعدي[٨]

{وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} أي لا تُضيّع حظَّك من دُنياك، وتمتَّع بها مع عملِك للآخرة؛ وإنَّما قالوا ذلك لئلَّا ينفر عن قبول الموعظة.

بتصرف: ابن جزي[١٥]

وإضافة (النصيب) إلى ضميره دالة على أنَّه حقّه، وأنَّ للمرء الانتفاع بماله فيما يلائمه في الدنيا؛ ما لم يكن حرامًا.

ابن عاشور[١٥]

لم يمنع الإسلام أتباعه من أن يأخذوا بقسط من متاع الدنيا، بل حضَّهم على السعي في الرزق، حتى لا يكونوا عالةً على غيرهم.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ} جميل أن يكون إحسانك بعد إحسان الله إليك من جنس إحسانه، فإن كان رزقًا فتصدَّق، وإن كانت فرحة فأدخل على غيرك فرحًا.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

إنَّ الله تعالى يُحِسن ويُحِبُّ الإحسان، ويُعطي ويُحِبُّ الإعطاء، فمَن أفضل على عباد الله بإحسانه وعطائه، زاده الله من فضله وآلائه.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

ضع جدولًا لدخلِكَ الشهري تُوازِن فيه بين مصالِحك في الدنيا والآخرة[١٥].

ينبغي للداعي أن يُذكِّر المدعو بنعمة الله سبحانه وتعالى؛ لأنَّ الإنسان إذا ذُكّر بالنعمة، فقد يخجل من الله، فلا يعصِهْ.

محمد العثيمين[١١]

{وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ} تحريم نِيَّة الفساد في الأرض، وإذا حُرِّمت نِيَّة الفساد، فالفساد نفسه من باب أولى، فيحرُم على المرء أن يُفسِد، أو أن ينوي الفساد.

محمد العثيمين[١١]

إذا لم تستطع أن تُهديَ إلى هذا الكون صلاحًا وفلاحًا، فلا تصنع فيه ضلالًا إفسادًا.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ} كيف يحبُّ الله عبدًا يهدم بنيانَ الصلاح بين العباد، ويُقيم على أنقاضه أبنيةَ الإضرار والإفساد؟

هدايات القرآن الكريم[١٤]

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَ لَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾

قال قارون: إنَّما أُعْطِيت هذه الأموال لعلم عندي وقُدرة، فأنا أستحقُّها لذلك.

أوَلَم يعلم قارون أنَّ الله قد أهلك من قبله من الأمم من هم أشدُّ قوَّة وأكثر جمعًا لأموالهم؟! فما نفعتهم قوَّتهم ولا أموالهم، ولا يسأل يوم القيامة المجرمون عن ذنوبهم لعلم الله بها، فسؤالهم سؤال تبكيت وتوبيخ.

من معين الآية:

من اعتقد أنَّ ما رزقه الله من كسبه، فهو مُشابِهٌ لقارون بعدم اعترافه بنعمة الله.

محمد العثيمين[١١]

قال سهل التُّستَري: (السعيد من صَرَف بصره عن أفعاله، وفُتح له سبيل رؤيةِ منَّة الله عليه. والشقيُّ من زُيِّن في عينه أفعاله وأقواله، فافتخر بها وادَّعاها لنفسه، فسوف تُهلِكُه).

هدايات القرآن الكريم[١٤]

أيها الطالب! إن أوتيت حفظًا وذكاءً، فانتبه! فقد قال قارون: {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي} فخُسف به، والمؤمن حقًّا حاله حال المعترفين بالنعمة، كما قال صاحب الجنة: {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ} [الكهف:٣٩][١٦].

لو كان الله يُؤتي الأموال مَن يؤتيه لفضلٍ فيه وخير عنده ولرضاه عنه، لم يكن ليُهلك مَن أهلك من أرباب الأموال؛ لأنَّ مَن كان الله عنه راضيًا فمحالٌ أن يُهلكه.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

مَن أجرم ولم يستمع إلى صوت فطرته، ولا اعتبر بقصص من أساء قبله، ولا أصغى إلى تحذير الأنبياء والمصلحين له، فليرتقب عقاب الله تعالى في أي لحظة أن يأتيه.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

يعلم الله تعالى أعمال عباده سرَّها وعلَنها، صغيرها وكبيرها، ولا يحتاج إلى أن يسأل عباده ليعلمَ ما لم يكن يعلم، بل يسألهم سؤال توبيخ لهم؛ لأنَّه علَّام الغيوب.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾

فخرج قارون في زينته مُظهِرًا أُبَّهَتَه، قال الذين يطمعون في زينة الحياة الدنيا من أصحاب قارون: يا ليتنا أُعْطِينا من زينة الدنيا مثل ما أُعْطِي قارون، إنَّ قارون لذو نصيبٍ وافٍ كبير.

من معين الآية:

في الحشود والاحتفالات تحضر شياطين الكبر والفخر، لابد من كفاح مرير لإخضاع النفس للتواضع فيها.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

الزهد: عدمُ احتفال القلب بالدنيا والأموال، وإن كانت في اليد، فقد يكون الغنيُّ زاهدًا، ويكون الفقير غير زاهد.

القرافي[١٨]

{قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا} بيان أن الفتنة أسرع إلى قلوب الماديين أبناء الدنيا والعياذ بالله تعالى.

الجزائري[١٣]

{إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} أكثر الناس يرَوْن الحظ العظيم في كثرة متاع الدنيا، ولا يرونه في الإيمان والعمل الصالح، وهذه نظرة مَن استوْلَت الدنيا على قلبه، وشغلت الحيِّز الكبير من تفكيره.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

وصدقوا {إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} لو كان الأمر منتهيًا إلى رغباتهم، وأنَّه ليس وراء الدنيا، دار أخرى، فإنَّه قد أُعْطِيَ منها ما به غاية التنعُّم بنعيم الدنيا، واقتدر بذلك على جميع مطالبه، فصار هذا الحظ العظيم، بحسب همتهم، وإنَّ همة جعلت هذا غاية مُرادها ومُنتهى مطلبها، لَمِنْ أدنى الهمم وأسفلها وأدناها، وليس لها أدنى صعود إلى المرادات العالية والمطالب الغالية.

السعدي[٨]

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾

وقال الذين أعطوا العلم حين رأوا قارون في زينته وسمعوا ما تمنَّاه أصحابه: ويلكم! ثواب الله في الآخرة، وما أعدَّه من النعيم لمن آمن به وعمل عملًا صالحًا، خيرٌ مما أُعْطِي قارون من زهرة الدُّنيا، ولا يُوفَّق لقول هذه الكلمة والعمل بما تقتضيه إلا الصابرون الذين يصبرون على إيثار ما عند الله من ثواب على ما في الدُّنيا من متاع زائل.

من معين الآية:

{وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} أي: بأحوال الدنيا والآخرة كما ينبغي... وإنَّما لم يُوصفوا بإرادة ثواب الآخرة تنبيهًا على أنَّ العلم بأحوال النشأتين يقتضي الإعراض عن الأولى والإقبال على الأخرى حتمًا، وأن تمنِّي المتمنين ليس إلا لعدم علمهم بهما كما ينبغي.

الألوسي[١٥]

أهل العلم هم أهل الحكمة والنجاة من الفتن؛ لأنَّ العلم يُوجِّه صاحبه إلى الصواب.

المختصر[١]

شأن مَن وهبهم الله العلم النافع ألا يغتروا بزخارف الدنيا؛ لأنَّهم يعلمون سوء عاقبة مَن يفتتن بها.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ} ليس الذين أوتوا العلم داعين بالوَيْل على الذين يريدون الحياة الدنيا؛ لأنَّ المناسب لمقام الموعظة لين الخطاب ليكون أعْوَن على الاتعاظ، ولكنَّهم يتعجَّبون من تعلُّق نفوس أولئك بزينة الحياة الدنيا واغتباطهم بحال قارون، دون اهتمام بثواب الله الذي يستطيعون تحصيله بالإقبال على العمل بالدين والعمل النافع، وهم يعلمون أنَّ قارون غير متخلِّق بالفضائل الدينيَّة.

ابن عاشور[١٥]

{ثَوَابُ اللَّهِ} العاجل: من لذة العبادة ومحبته، والإنابة إليه، والإقبال عليه. والآجل: من الجنة وما فيها، مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين {خَيْرٌ} من هذا الذي تمنيتم ورغبتم فيه، فهذه حقيقة الأمر.

السعدي[٨]

ثواب الله ورضوانه هو ما يَنشُده مَن آمن وعمل صالحًا، ولا تَشغَله عنه زخارفُ الحياة ومتاعها الفاني.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

كلَّما عَرضت لك الدنيا مفاتنها فتفكَّر في الآخرة وما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين فيها.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

أهل العلم النافع إذا رأوا أسيرًا في قبضة الانبهار بزينة الحياة الفانية أطلقوه بنصحهم، وأزالوا عن عينيه قَتامَ الاغترار بالدنيا، حتى يرى أنَّ ما عند الله خيرٌ وأبقى.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

ما كل من يعلم أنَّ {ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ} يُؤثِر الأعلى على الأدنى، فما يُلَقَّى ذلك ويوفق له {إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ} الذين حبسوا أنفسهم على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى أقداره المؤلمة، وصبروا على جواذب الدنيا وشهواتها، أن تشغلهم عن ربهم، وأن تحول بينهم وبين ما خُلِقوا له، فهؤلاء الذين يؤثرون ثواب الله على الدنيا الفانية.

السعدي[٨]

{وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلا الصَّابِرُونَ} وعبَّر بالجمع ترغيبًا في التعاون.

البقاعي[١٥]

طوبى لمَن يصبرون على معايير الناس ومقاييسهم، وعلى فتنة الحياة الدنيا وإغرائها، أولئك الذين يوفقهم الله للاستعلاء على كل ما في الأرض، والتطلُّع إلى ثواب الله تعالى ورضاه.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

انصح من تعرف ممن يغترون بالمظاهر أنَّ متاع الدنيا زائل، وذكّرهم بقصة قارون[١٥].

عمل قلبي

(الصبر)

قال النبي ﷺ: «وما أُعطيَ أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسعَ من الصبرِ».

- معنى الصبر:

- **في اللغةً:** المنع والحبس.

- **في الشرع:** حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عما لا يُحمد.

- منزلة الصبر:

منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد؛ فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، وإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان.

- أنواع الصبر:

١. **الصبر على الطاعات:** قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (الصبر على الطاعة بالمحافظة عليها دوامًا، وبرعايتها إخلاصًا، وبتحسينها علمًا).

٢. **الصبر عن المنهي عنه حتى لا يفعله.**

٣. **الصبر على ما يصيبه بغير اختياره من المصائب، وهي نوعان:**

- **الأول:** نوع لا اختيار للخلق فيه، كالأمراض وغيرها من المصائب السماوية، فهذه يسهل الصبر فيها، لأنَّ العبد يشهد فيها قضاء الله عز وجل وقدره.

- **الثاني:** أن يحصل له بفعل الناس في ماله أو عرضه أو نفسه، هذا النوع يصعب الصبر عليه جدًا، لأنَّ النفس تستشعر المؤذي لها، وهي تكره الغلبة، فتطلب الانتقام، فلا يصبر على هذا النوع إلا الأنبياء والصديقون.

- **شروط الصبر:**

١. **الإخلاص** الذي تنتفي عنده حظوظ النفس، وتزول به شوائب الرياء.

٢. **عدم شكوى الله إلى عباده.**

٣. **أن يكون في أو انه**، عن أنس رضي الله عنه قال: «مَرَّ النبيُّ ﷺ بامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقالَ: اتَّقِي اللَّهَ واصْبِرِي، قالَتْ: إلَيْكَ عَنِّي، فإنَّكَ لَمْ تُصَبْ بمُصِيبَتِي، ولَمْ تَعْرِفْهُ، فقِيلَ لَهَا: إنَّه النبيُّ ﷺ، فأتَتْ بَابَ النبيِّ ﷺ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقالَ: إنَّما الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى» رواه البخاري (١٢٨٣).

- **الصبر لا يكفي وحده**

لا بد مع الصبر من اليقين، فإنَّ الصبر من غير يقين لا يكتمل، ولا يصل به العبد إلى المطلوب، قال زُهير بن نُعيم: "إنَّ هذا الأمر لا يتم إلا بشيئين: الصبر واليقين؛ فإن كان يقين ولم يكن معه صبر لم يتم، وإن كان صبر ولم يكن معه يقين لم يتم"، والله عز وجل يقول: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة:٢٤].

"ولا يمكن للعبد أن يصبر إن لم يكن له ما يطمئنُّ به، ويتنعَّم به ويتغذَّى به؛ وهو اليقين".

- **الطريق إلى تحقيق الصبر:**

١. معرفة طبيعة الحياة الدنيا وما جُبِلت عليه من المشقة والعناء.

٢. الإيمان بأنَّ الدنيا كلها مُلك لله تعالى، يُعطي من يشاء ويمنع من يشاء.

٣. معرفة الله عزَّ وجلَّ بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى، فيتذكَّر رحمته وحكمته وعدله عزَّ وجلَّ وأنَّ الذي ابتلاه بهذا هو أرحم الرحمين، وهو أحكم الحاكمين.

٤. أن يتذكَّر أنَّ الله عزَّ وجلَّ أراد به خيرًا؛ قال ﷺ: «مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُصِبْ منه» رواه البخاري (٥٦٤٥).

٥. أن يتذكَّر أنَّ البلاء كفَّارة، جاء في الحديث: «ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ» رواه البخاري (٥٦٤١).

٦. معرفة الجزاء والثواب العظيم الذي رُتِّب على الصبر.

٧. الإيمان بالقضاء والقدر، فيعلم أن هذه قضيَّة مُقدَّرة ثابتة، وأنَّ الجزع لا يردُّ الفائت.

٨. النظر إلى حُسن العاقبة والثقة بحصول الفرج.

٩. التأمُّل في قصص الصابرين من أعظم ما يُعين على الصبر.

١٠. اللجوء إلى الصلاة والذكر وقيام الليل، قال تعالى: {وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ}

١١. اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء، قال تعالى عن عباده المؤمنين المجاهدين: {رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ} [البقرة:٢٥٠].

١٢. أن نُوطِّن أنفسنا على الصبر عند الصدمة الأولى.

- **من ثمرات الصبر:**

١. الصبر أوسع عطاء قد يُعطاه العبد، قال النبي ﷺ: «وما أُعطيَ أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسعَ من الصبرِ» (رواه البخاري ١٤٦٩).

٢. الفلاح نتيجة للصبر، قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران:٢٠٠].

٣. الصبر سبب لعدم الخُسران، قال تعالى: {وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ} [سورة العصر].

٤. الصبر طريق الجنة، قال رسول الله ﷺ: «يقولُ اللَّهُ تَعالَى: ما لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِندِي جَزاءٌ، إذا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِن أهْلِ الدُّنْيا ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إلَّا الجَنَّةُ» صحيح البخاري (٦٤٢٤).

٥. مضاعفة أجر الصابرين، قال تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ} [الزمر:١٠].

٦. نيل الإمامة في الدين، قال تعالى: {وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة:٢٤].

٧. معيَّة الله سبحانه وتعالى للصابر، قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ} [البقرة:١٥٣].

٨. النجاة من كيد الأعداء، قال تعالى: {وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ} [آل عمران:١٢٠].

٩. نيل محبة الله سبحانه، قال تعالى: {وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ} [آل عمران:١٤٦].

١٠. إخلاف الله عز وجل على الصابر، فعن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما مِن مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فيَقولُ ما أمَرَهُ اللَّهُ: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة: ١٥٦]، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي في مُصِيبَتِي، وأَخْلِفْ لي خَيْرًا مِنْها، إلَّا أخْلَفَ اللَّهُ له خَيْرًا مِنْها، قالَتْ: فَلَمَّا ماتَ أبو سَلَمَةَ، قُلتُ: أيُّ المُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِن أبِي سَلَمَةَ؟ أوَّلُ بَيْتٍ هاجَرَ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ إنِّي قُلْتُها، فأخْلَفَ اللَّهُ لي رَسولَ اللهِ ﷺ» صحيح مسلم (٩١٨).

- **من أقوال السلف في الصبر:**

- يقول الحسن البصري: "الصبر كنز من كنوز الخير، لا يُعطيه الله إلا لعبدٍ كريمٍ عنده".

- ويقول الفضيل بن عياض: " إنَّ الله عزَّ وجلَّ ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء، كما يتعاهد الرجل أهله بالخير".

- ويقول وهب بن مُنبّه: "من أُصيب بشيء من البلاء، فقد سلك به طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام".

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾

فخسفنا الأرض به وبداره ومن فيها انتقامًا منه على بغْيِه، فما كان له من جماعة ينصرونه من دون الله، وما كان من المنتصرين بنفسه.

من معين الآية:

عندما تبلغ الزينة ذروتها، وتتهافت أمامها النفوس وتتهاوى، يضع الله حدًّا لها؛ رحمةً منه بمَن ثبت ألا يفتَتن، وموعظةً بليغة لمَن يعتبر.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

زال قارون وخزائن داره معه، ولم يبقَ وراءه إلا العبرة، فماذا نفعه ماله وداره عن أخذةِ الله؟!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾

وأصبح الذين تمنَّوا ما كان فيه من المال والزينة قبل الخسف به يقولون مُتحسِّرين مُعتبرين: ألم نعلم أنَّ الله يبسُط الرزق لمن يشاء من عباده، ويُضيِّقه على من يشاء منهم؟! لولا أن منَّ الله علينا فلم يُعاقبنا بما قلنا؛ لخسف بنا مثل ما خسف بقارون، إنَّه لا يفوز الكافرون، لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل إنَّ مصيرهم ومآلهم الخسران فيهما.

من معين الآية:

كم دعوةٍ يُحزن صاحبَها أن الله تعالى لم يستجبها له! وما علمَ العبد الضعيف أن خِيرة الله خيرٌ له ممَّا يتمنَّاه لنفسه.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

تمنّي متاع الدنيا هو تمنٍّ لا حقيقة له، وذلك لأنَّه يزول، فهؤلاء الذين تمنُّوا مثل ما أوتي قارون لمَّا زال، وخُسف به عرفوا أنَّ هذا التمنِّي في غير محلِّه، وأنَّ حقيقة الأمر أن يتمنَّى الإنسان ما فيه ثواب الآخرة.

محمد العثيمين[١١]

ليس بسط الرزق وتضييقه براجع إلى علم العباد أو جهلهم باكتساب الأرزاق، بل هو خاضع لمشيئة الله وحكمته.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

العاقل من اتَّعظ بغيره، ولم ينتظر حتى يكون هو عبرة لغيره.

التفسير الموضوعي[٢]

العالم العامل يعرف الفتنة حين تُقبل، والجاهل لا يعرفها إلا حين تدبر.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

لا فلاح مع الكفر، فلا يغترنَّ امرؤٌ بما أعطيه هؤلاء من عاجلة، فما أسرع زوالها!

هدايات القرآن الكريم[١٤]

مناسبة

لمَّا ذكر تعالى قارون وما أوتيه من الدنيا، وما صار إليه عاقبة أمره، وأنَّ أهل العلم قالوا: {ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} رغَّب تعالى في الدار الآخرة، وأخبر بالسبب الموصل إليها، فقال[٨]:

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

تلك الدار الآخرة نجعلها دار نعيم وتكريم للذين لا يُريدون تكبُّرًا في الأرض عن الإيمان بالحق واتباعه، ولا يُريدون فسادًا فيها، والعاقبة المحمودة هي بما في الجنَّة من نعيم، وما يحلُّ فيها من رضا الله للمتقين لربِّهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

من مَعين الآية

افتُتِحت سورة القصص بأمر فرعون وذكر علوّه في الأرض؛ وهو الرياسة والشرف والسلطان ثم ذكر في آخرها قارون وما أوتيه من الأموال، وذُكر عاقبة سلطان هذا وعاقبة مال هذا، ثم قال: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذينَ لا يُريدُونَ عُلُواً فِي الأَرْضِ وَلا فسَاداً} كحال فرعون وقارون.

ابن تيمية[١٥]

{لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا} ليس لهم إرادة، فكيف العمل للعلوّ في الأرض على عباد الله، والتكبُّر عليهم وعلى الحقّ.

السعدي[٨]

من أراد الآخرة لم يَدَع العلوَّ والفساد فحسب، وإنَّما يدَع كذلك إرادتهما، ويحفظ قلبه من الميل إليهما.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

الفساد شامل لجميع المعاصي، فإذا كانوا لا إرادة لهم في العلو في الأرض والإفساد، لزم من ذلك، أن تكون إرادتهم مصروفة إلى الله، وقصدهم الدار الآخرة، وحالهم التواضع لعباد الله، والانقياد للحق والعمل الصالح.

السعدي[٨]

حينما يبغي المرء العلوَّ في الأرض ليُحقّق لنفسه حظوظها، فإنَّه لابدَّ أن ينجرَّ إلى فعل الفساد، حتى يُحقّق ذلك المراد.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

مكانك في الآخرة بقدر مقاومتك المخلصة لنزعات الرغبة في الارتفاع والعلو على الناس.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

اجلس مع عامل فقير، وتعرَّف إلى حاجته، وتصدَّق عليه(١٥).

استعذ بالله من العلوّ على الناس، والإفساد في الأرض(١٥).

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾

من جاء بالحسنة يوم القيامة -من صلاة وزكاة وصيام وغيره- فله جزاء خير من تلك الحسنة حيث تُضاعف له الحسنة إلى عشر أمثالها، ومن جاء يوم القيامة بالسيئة -من كفر وأكل ربا وزِنًى وغير ذلك- فلا يُجزى الذين عملوا السيئات إلا مثل ما عملوا دون زيادة.

من معين الآية:

{مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ} شرط فيها أن يأتي بها العامل، لأنه قد يعملها، ولكن يقترن بها ما لا تقبل منه أو يبطلها، فهذا لم يجيء بالحسنة، والحسنة: اسم جنس يشمل جميع ما أمر الله به ورسوله، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله تعالى وحق عباده.

السعدي[٨]

{فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا} أي: أعظم وأجل، وفي الآية الأخرى {فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} [الأنعام:١٦٠] وقد يقترن بذلك من الأسباب ما تزيد به المضاعفة، كما قال تعالى: {وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة:٢٦١] بحسب حال العامل وعمله، ونفعه ومحلِّه ومكانه.

السعدي[٨]

{وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ} وهي كل ما نهى الشارع عنه، نَهْيَ تحريم. {فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} كقوله تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ} [الأنعام: ١٦٠].

السعدي[٨]

كيف يعمل العاقل السيئة وقد عَلِمَ أنَّه مُعَاقَب عليها، وكيف يترك الحسنة وهو يعلم أنَّ له ثوابًا خيرًا منها إن جاء بها؟

هدايات القرآن الكريم[١٤]

بيان فضل الله ورحمته وعدله بين عباده بمضاعفة الحسنات وعدم مضاعفة السيئات.

الجزائري[١٣]

"اللَّهُمَّ لا عَيْشَ إلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ"

الأمر بالبلاغ والتوحيد

المقطع الحادي عشر

بعد أن قصَّ الله تعالى في هذه السورة على رسوله قصص موسى مع فرعون، وقصص قارون مع قومه بني إسرائيل، وبيَّن هلاك كل من الطاغيتين، أعقبه بذكر قصص النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مع قومه، وإخراجهم إيَّاه من مكة، ثم عوده إليها ظافرًا منتصرًا(*)، ليُشير بذلك إلى نصره وعلوِّ دينه حين يتحقق وعده الذي وعده، قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

معاني الكلمات

فَرَضَ	أنزل
لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ	لمُرجعُكَ إلى الموضع الذي خرجت منه، وهو مكة
تَرْجُوٓا۟	تؤمِّلُ
يُلْقَىٰٓ	يُنَزَّل
ظَهِيرًا	عونًا

(*) تفسير الرازي (٢٥/ ٢١).

تفسير الآيات

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾

إن الذي أنزل عليك القرآن وفرض عليك تبليغه والعمل بما فيه لمُرجِعُك إلى مكَّة فاتحًا، قل -**أيُّها الرسول**- للمشركين: ربي أعلم بمن جاء بالهدى، ومن هو في ضلال واضح عن الهدى والحق.

من معين الآية:

وجوب تلاوة القرآن والعمل به وتبليغه على النبي صلى الله عليه وسلم، لقوله: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ}.

محمد العثيمين[١١]

ما عدا الهدى فهو ضلال، لقوله: {أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} وأنَّه ليس ثمَّة واسطة بين الهدى والضلال.

محمد العثيمين[١١]

ضرورة استعمال أسلوب اللين والحكمة وإثارة الانتباه ودفع المقابِل إلى التفكير في حقيقة الإسلام، وفسح المجال للمناقشة والأخذ والرد، وهو الأسلوب الذي استخدمه القرآن {قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}.

التفسير الموضوعي[٢]

إذا ما أدَّى داعي الحق رسالة ربِّه وبيَّنها أتمَّ البيان وأوضحَه، فلم يرَ ممَّن دعاه إلا التمادي في العناد والمراء فلا أحسن من المتاركة على تفويض أمر الاهتداء والضلال إلى الله.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾

وما كنت -**أيُّها الرسول**- تأمل -قبل البعثة- أن يُلْقَى إليك القرآن وحيًا من الله، لكن رحمة منه سبحانه اقتضت إنزاله عليك، فلا تكونَنَّ مُعينًا للكافرين على ما هم فيه من الضلال.

من معين الآية:

ربُّك يعطيك شيئًا لم تكن تحلم به، ولا تتوقعه إنه يعطيك فوق فوق ما كنت تتصور بكثير.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

{إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ} فإذا علمت أنَّه أنزل إليك رحمة منه، علمت أنَّ جميع ما أمر به ونهى عنه، فإنَّه رحمة وفضل من الله، فلا يكن في صدرك حرج من شيء منه، وتظن أنَّ مخالفته أصلح وأنفع.

السعدي[٨]

هذا القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للخلق، رحمة في الدنيا والآخرة؛ ففي الدنيا تصلح أحوالهم، ويعلو أمرهم، وفي الآخرة يكونون في جنات النعيم.

محمد العثيمين[١١]

قوله: {فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ} فيه تحريم مظاهرة الكفار، أي: معاونتهم، لأن النهي للتحريم، لا سيَّما وقد أُكِّد بنون التوكيد.

والمعاونة للكفار تكون بطرق عِدَّة، منها معاونة فكرية، ومعاونة معنوية، فكل ما فيه معاونة للكفار ومساعدتهم وتقويتهم؛ فهو محرم، لأن الواجب علينا إذلالهم، وخذلهم بكل ما نستطيع.

محمد العثيمين[١١]

ومن جملة مظاهرتهم -أيضًا- أن يُقال في شيء من القرآن، إنَّه خلاف الحكمة والمصلحة والمنفعة.

السعدي[٨]

مِن شُكر الله تعالى على نعمة هذا القرآن أن يعمل المؤمن بما فيه، وألَّا يكون مُعينًا ولا ناصرًا لمَن يُعاديه.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾

ولا يصرفنَّك هؤلاء المشركون عن آيات الله بعد إنزالها عليك فتترك تلاوتها وتبليغها، وادع الناس إلى الإيمان بالله وتوحيده والعمل بشرعه، ولا تكوننَّ من المشركين الذين يعبدون مع الله غيره، بل كن من الموحدين الذين لا يعبدون إلا الله وحده.

من معين الآية:

على الداعي المؤمن أن يعلم أن طريق الدعوة إلى الحق محفوف بالصادين عنه، فلا يهُولنَّه ذلك، وليمض في تبليغ رسالة ربِّه التي ائتمنه عليها، فإنَّ الله ناصره.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

{وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ} اجعل الدعوة إلى ربك منتهى قصدك وغاية عملك، فكل ما خالف ذلك فارفضه، من رياء، أو سمعة، أو موافقة أغراض أهل الباطل، فإن ذلك داع إلى الكون معهم، ومساعدتهم على أمرهم.

السعدي[٨]

وجوب الثبات والصبر على الدعوة حتى نجاحها ببلوغها الناس واستجابتهم لها.

الجزائري[١٣]

ادعُ إلى الله -سبحانه وتعالى- بأي طريقة جائزة تحسنها[١٥].

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

ولا تعبد مع الله معبودًا غيره، لا معبود بحقٍّ غيره، كل شيء هالك إلا وجهه سبحانه، له وحده الحكم يحكم بما يشاء، وإليه وحده تُرجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

من معين الآية:

حذارِ أن تدعوَ مع الله سبحانه وتعالى أحدًا؛ فإنَّ ذلك يُخالف مُقتضى شهادة التوحيد، ويُوصِل صاحبه إلى أسوأ مصير.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

لا معبود يستحقُّ أن تَصرفَ له عبادتك ودعاءك، وتوجُّهك ورجاءك، إلا الله وحده الذي بيده كل شيء.

هدايات القرآن الكريم[١٤]

كل الأشياء التي نتشبث بها أو تحيط بنا، نفرح بها أو نحزن، نتألم من أجلها أو نسعد، ستفنى ستضمحل. الله وحده من يبقى.

د.عبد الله بلقاسم[١٩]

إذا كان ما سوى الله باطلًا هالكًا، والله هو الباقي، الذي لا إله إلا هو، وله الحكم في الدنيا والآخرة، وإليه مرجع الخلائق كلهم، ليجازيهم بأعمالهم، تعيَّن على من له عقل، أن يعبد الله وحده لا شريك له، ويعمل لما يُقربه ويُدنيه، ويحذر من سخطه وعقابه، وأن يقدم على ربِّه غير تائب، ولا مُقلِع عن خطئه وذنوبه.

السعدي[٨]

مناسبة

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها

- لما ذكر في أول السورة علو فرعون في الأرض وإفساده، نبّه سبحانه وتعالى في آخر السورة إلى أن الدار الآخرة {لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا}.

- وأيضًا لما بُدئت السورة بالحديث عن أمر موسى -عليه السلام- مع قومه ونصرته، وتمسكه بعبادة الله تعالى حيث قال: {فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ}، وخروجه من وطنه، خُتِمت بأمر النبي ﷺ بألَّا يكون ظهيرًا للكافرين، وبتسليته -عليه الصلاة والسلام- عن إخراجه من مكة، ووعده بالعود إليها {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} ويناسب هذا أيضًا ما جاء في أول السورة الكريمة من قول الله تعالى {إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ}.

الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٧٩)

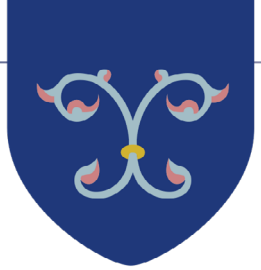

أحاديث نبوية

أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله، أي أن ركونك إلى أعداء الإيمان ينخر في عقيدتك وإيمانك، وإنما الحب والموالاة والركون والتأييد يكون للمسلمين الموحدين، حتى تسلم عقيدتك، ويصح إيمانك، كما قال ﷺ:

١٤. عن أبي أُمامة رضي الله عنه، عن رسول اللهِ ﷺ أنه قال: «**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ**».

رواه أبي داوود (٤٦٨١)، حديثٌ صحيح.

١٥. عن أنسٍ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**».

رواه البخاري (٦٩٤١).

{كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ}

ختاماً

"هذه السورة وضعت الموازين الحقيقية للقُوى والقيم، نزلت تقرر أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود، هي قوة الله; وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون، هي قيمة الإيمان. فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه، ولو كان مُجردًا من كلِّ مظاهر القوَّة، ومن كانت قوَّة الله عليه فلا أمن له ولا طمأنينة ولو ساندته جميع القُوى; ومن كانت له قيمة الإيمان فله الخير كله، ومن فقد هذه القيمة فليس بنافعه شيء أصلًا".

واتباع الرسل هو سبيل الفلاح محتصرًا، وتلك العاقبة لمن التزمه.

جعلنا الله من السابقين إلى مغفرته، الفائزين بفضله، ممَّن يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

المراجع

	١	**المختصر في تفسير القرآن الكريم**، نخبة من العلماء. (ط٦)، ١٤٤١هـ.
	٢	**التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، مصطفى مسلم وآخرون. (ج٥). جامعة الشارقة: الإمارات، ١٤٣١هـ.
التعريف بالسورة	٣	**أسماء سور القرآن وفضائلها**، منيرة بنت محمد الدوسري. دار ابن الجوزي: الدمام، ١٤٢٦هـ.
	٤	**تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي. الدار التونسية للنشر: تونس، ١٩٨٤ هـ.
	٥	**الأساس في التفسير**، سعيد حوَّى. (ط٦)، دار السلام: القاهرة، ١٤٢٤هـ.
غريب الآيات	٦	**السراج في بيان غريب القرآن**، محمد الخضيري. مجلة البيان، الرياض، ١٤٢٩هـ.
التفسير	١	**المختصر في تفسير القرآن الكريم**، نخبة من العلماء. (ط٦)، ١٤٤١هـ.
	٢	**التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، مصطفى مسلم وآخرون. (ج٥). جامعة الشارقة: الإمارات، ١٤٣١هـ.
	٧	**التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، وهبة بن مصطفى الزحيلي. (ط٤)، دار الفكر المعاصر: دمشق، ١٤١٨هـ.
المناسبات	٨	**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن السعدي، ت: سعد بن فواز الصميل. (ط١)، دار ابن جوزي، ١٤٢٥هـ.
	٩	**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، البقاعي، إبراهيم بن عمر. دار الكتاب الإسلامي: القاهرة، دون تاريخ.
	١٠	**التفسير الكبير**، فخر الدين الرازي. (ط٣)، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٤٢٠هـ.

٨ **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن السعدي، ت: سعد بن فواز الصميل. (ط١)، دار ابن جوزي، ١٤٢٥هـ.

١١ **تفسير القرآن الكريم (سورة القصص)**، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية. (ط١)، القصيم، ١٤٣٦هـ.

١٢ **التفسير والبيان لأحكام القرآن**، عبد العزيز الطريفي، (ج٤). دار المنهاج: الرياض، ١٤٣٨هـ.

١٣ **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، أبو بكر، جابر بن موسى الجزائري. (ط٥)، مكتبة العلوم والحكم: المدينة النبوية، ١٤٢٤هـ.

من معين الآيات

١٤ **هدايات القرآن الكريم**، شركة معالم التدبر. (ط١)، الرياض، ١٤٤٠هـ.

١٥ **القرآن تدبر وعمل**، مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي. altadabbur.com

١٦ **ليدّبروا آياته: حصاد سبع سنوات من التدبر**، مركز تدبّر للاستشارات التربوية والتعليميّة. دار الصميعي: الرياض، ١٤٣٦هـ.

١٧ **ليدّبروا آياته: المجموعة الثامنة**، مركز تدبّر للاستشارات التربوية والتعليميّة. الرياض، ١٤٣٦هـ.

١٨ **ليدّبروا آياته: المجموعة التاسعة**، مركز تدبّر للاستشارات التربوية والتعليميّة. الرياض، ١٤٣٧هـ.

٢٠ **أفياء الوحي**، عبدالله بلقاسم. دار طيبة الخضراء: الرياض، ١٤٣٧هـ.

أسماء الله الحسنى

٢١ **{ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها}**، عبدالعزيز بن ناصر الجُليِّل، (ط١)، ١٤٣٩هـ.

أعمال القلوب

٢٢ **أعمال القلوب**، خالد بن عثمان السبت، (ط٢ – تحت الطبع).

٢٣ **الصبر**، محمد صالح المنجد، (ط١)، مجموعة زاد للنشر، الخبر ١٤٣٠هـ

الأحاديث النبوية

٢٤ **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر. (ط١)، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٢٥ **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبدالباقي. دار إحياء التراث العربي : بيروت، دون تاريخ.

٢٦ **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد. المكتبة العصرية: صيدا – بيروت، دون تاريخ.

٢٧ **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، ت: إبراهيم عطوة عوض (جـ ٤، ٥). (ط٢)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي: مصر، ١٣٩٥ هـ.

٢٨ **السنن الصغرى للنسائي**، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب الخرساني النسائي، ت: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، (ط٢) ١٤٠٦هـ.

٢٩ **الدُّرر السَّنية، الموسوعة الحديثية**، شروح الأحاديث، علوي بن عبدالقادر السَّقَّاف، dorar.net

المادة الإثرائية

٣٠ **دورة الأترجة القرآنيَّة - تفسير سورة القصص**، محمد بن عبد العزيز الخضيري. https://cutt.us/twIAH

الفهرس

المقدمة	١
ما مسابقة الوحيين	٢
محتوى الكتيب	٣
التعريف بالسورة	٦
المقطع الأول: علو فرعون في الأرض، وإرادة الله إهلاكه والتمكين للمستضعفين	٩
أحاديث نبوية	١٧
مادة إثرائية	١٨
المقطع الثاني: ميلاد موسى وموقف أمه، والتقاط آل فرعون إياه	١٩
عمل قلبي (اليقين)	٣٣
أحاديث نبوية	٣٨
مادة إثرائية	٣٩
المقطع الثالث: قتل القبطي خطأ، والخروج من مصر	٤٠
أسماء حسنى (الغفور الرحيم)	٤٥
أحاديث نبوية	٥٢
مادة إثرائية	٥٣
المقطع الرابع: اللجوء إلى مدين، والزواج من ابنة الرجل الصالح	٥٤
عمل قلبي (الحياء)	٦٥
أسماء حسنى (الوكيل)	٧٣
أحاديث نبوية	٧٥
مادة إثرائية	٧٦

المقطع الخامس: بعثة موسى وأخيه هارون -عليهما السلام- وتأييدهما	٧٧
أسماء حسنى (الله، والرب)	٨٢
مادة إثرائية	٨٩
المقطع السادس: بدء الدعوة، وتكذيب فرعون وجنوده لها، ونزول العقاب بهم	٩٠
مادة إثرائية	١٠٠
المقطع السابع: إثبات نبوة محمد ﷺ من خلال قصة موسى، وتكذيب المشركين له وللقرآن والرد عليهم، وموقف الصادقين من أهل الكتاب	١٠١
مادة إثرائية	١١٤
المقطع الثامن: زعم المشركين والرد عليهم، والحض على الرغبة في الاخرة	١١٥
مادة إثرائية	١٢٣
المقطع التاسع: من مواقف المشركين يوم القيامة، وبعض مظاهر قدرة الله ورحمته	١٢٤
عمل قلبي (التوبة)	١٣٠
أحاديث نبوية	١٣٨
مادة إثرائية	١٣٩
المقطع العاشر: قصة قارون وبغيه، وبيان أن العاقبة للمتقين	١٤٠
عمل قلبي (الصبر)	١٥٠
مادة إثرائية	١٥٨
المقطع الحادي عشر: الأمر بالبلاغ والتوحيد	١٥٩
أحاديث نبوية	١٦٥
مادة إثرائية	١٦٦
الختام	١٦٧
المراجع	١٦٨

نادي النورين
١٤٤٤هـ

حقيقٌ بالإنسان أن يُنفق أنفاسه فيما ينال به المطالب العالية، ويخلص به من الخسران.

وليس ذلك إلا **بالإقبال على القرآن وتفهُّمه وتدبُّره والعكوف بالهمَّة عليه**؛ فإنَّه الكفيل بمصالح العباد في المعاش والمعاد.

نادي النورين
١٤٤٤هـ